روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جدا!!

٩٤

الساحر

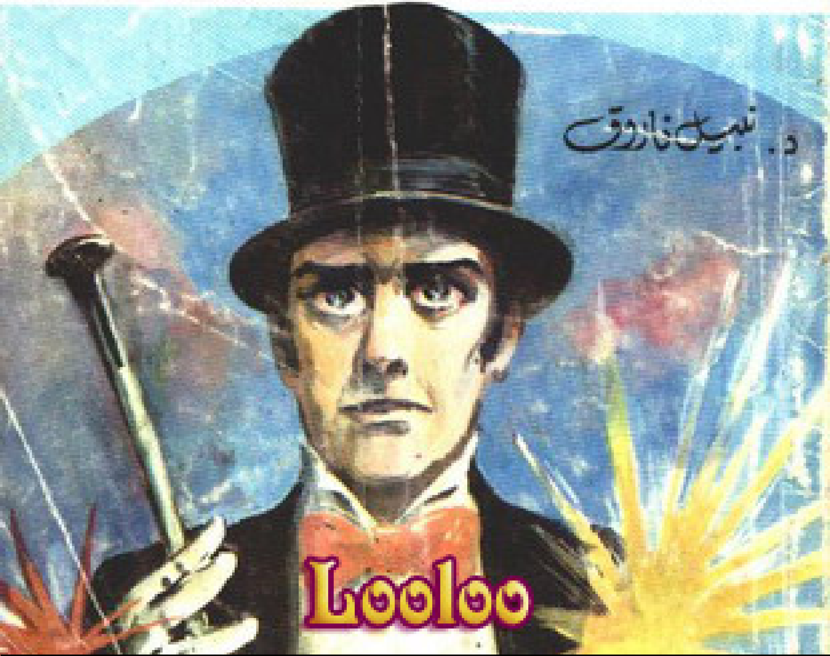

Looloo

www.helmelarab.net

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض مصر ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية .. يدور العمل فيها بهدوء تام وسرِّية مطلقة .. من أجل حماية التقدم العلمى فى مصر .. ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية التى هى مقياس تقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف يعمل فريق نادر تم اختياره بدقة بالغة :

ــ نور الدين : واحد من أكفأ ضباط المخابرات العلمية يقود الفريق .

ــ سلوى : مهندسة شابة ، وخبيرة فى الاتصالات والتتبع .

ــ رمزى : طبيب بارع متخصِّص فى الطب النفسى .

ــ محمود : عالم شاب وإخصائى فى علم الأشعة .

فريق نادر يتحدَّى الغموض العلمى والألغاز المستقبلية .. إنهم نظرة أمل للمستقبل .. ولمحة من عالم الغد .

د . نبيل فاروق

١ ـ دعوة مجانية ..

بدأ العدُّ التنازلى ، فى قاعدة الفضاء المصرية الجديدة ، بعد لحظات من شروق ذلك اليوم ، من أيام القرن الحادى والعشرين ، وتعلَّقت عيون الجميع بذلك الصاروخ الضخم ، الذى يحمل على جانبه بحروف ضخمة اسم (القاهرة ـ ١) ، وفركت (سلوى) كفيها فى عصبية ، وهى تقول :

ـ أكانت هذه الرحلة ضروريَّة ؟

ابتسم (نور) ، وضمَّها إليه فى حنان ، وهو يراقب الصاروخ بدوره ، قائلًا :

ـ نعم يا عزيزتى .. إنها رحلة ضرورية للغاية ، فأنت تعلمين أن أحدًا لم يعد يستخدم سجن القمر (*) ، منذ احتلَّه ذلك الأمريكى المجنون (**) ، ولم تعد الدول تؤمن بضرورة وجود سجن من طراز خاص ، خارج كوكب الأرض ، لذا فقد اتفق الجميع على استغلال كل المنشآت ، المقامة على سطح القمر ، لتكوين فريق جديد من رواد

(*) راجع قصة (سجن القمر) .. المغامرة رقم (٤٨) .

(**) راجع الأجزاء الثلاثة (كنز الفضاء) ، (الأمل الفيروزى) ، و(الامبراطور) .. المغامرات أرقام : (٨٤) ، (٨٥) ، (٨٦) .

الفضاء ، فى فترة ما بعد الاحتلال (*) .. وهذا الصاروخ الذى ترينه ، يضمّ أفراد الفريق الجديد ، من كل دول العالم ، فى طريقه لتلقى تدريباته الخاصة ، فى مجال ارتياد الفضاء .

غمغمت فى توتر :

- إننى أتحدّث عن (نشوى) .. إنها لم تستعد لياقتها بعد ، منذ عادت إلى شبابها ، وأفاقت من غيبوبتها .

قال فى هدوء :

- وكذلك (محمود) و (رمزى) ، ولكن من دواعى فخرنا أن الاختيار قد وقع على ثلاثتهم ، ليكونوا ضمن فريق التدريب ، الذى سيعلّم هؤلاء الرواد كيفية التعامل مع المتغيرات فى الفضاء ، ومواجهة المخاطر الجديدة ، والسيطرة على أعصابهم ، فى مختلف المواقف والظروف .

تنهّدت قائلة :

- ولكننا لن نراهم لفترة طويلة .

ابتسم وهو يراقب الصاروخ ، الذى أحاطت سحابة كثيفة بقاعدته ، مع استمرار العدّ التنازلى ، وقال فى حنان جارف :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦)، وقصة (رمز القوة) .. المغامرة رقم (٨٦) .

- سنشتاق إليهم بالتأكيد ، ولكن هذا أفضل لهم .

ارتفع صوت (مشيرة) ، التى تقف على مقربة منهم ، وهى تقول فى مرح :

- وأعدك أن أجرى معهم مقابلة صحفية رائعة ، على شاشة (أنباء الفيديو) ، فور عودتهم إلينا بإذن الله .

هتفت (سلوى) من أعماق قلبها :

- بإذن الله .

وعادت عيون الجميع تتعلّق بالصاروخ ، والعدُّ التنازلىُ يقترب بسرعة من الصفر ، و (مشيرة) تصف المشهد فى حماس ، لمشاهدى وقرّاء (أنباء الفيديو) ، حتى انتهى العدّ التنازلىُ ، وانطلق الصاروخ ، فخفق قلب (سلوى) فى قوة ، وهى تضغط يد (نور) ، هاتفة :

- (نور) .. لقد رحلت .

ضغط (نور) يدها فى حنان ، وهو يهمس فى انفعال :

- صحبتهما السلامة .. صحبتهم السلامة جميعًا .

واصل الصاروخ انطلاقه ،والعيون كلها تتابعه ، حتى اختفى فى السماء ، فانهمرت دموع (سلوى) فى غزارة ، وهى تهتف :

- عودى إلينا سالمة يا (نشوى) .. أرجوك .

قال (أكرم) فى صوت عميق :

- سيعودون جميعًا سالمين بإذن الله .

أما (مشيرة) ، فقد تنهدت وهى تنهى برنامجها ، والتفتت إليهم ، قائلة :

ـ ما رأيكم فى حفل ساهر الليلة ؟

قالت (سلوى) بدهشة :

ـ حفل ماذا ؟!.. هل سنحتفل بـ ...

ولكن (نور) قاطعها ، قائلاً :

ـ فكرة جيدة .. أعتقد أننا نحتاج بالفعل إلى بعض المرح .

قالت (مشيرة) بابتسامة كبيرة :

ـ رائع .. لدى هنا دعوة مجانية ، لمشاهدة عرض خاص .

وأكمل (أكرم) فى حماس :

ـ بمناسبة خطبتنا .

تضرّج وجه (مشيرة) بحمرة الخجل ، فى حين هتفت (سلوى) :

ـ خطبتكما ؟!.. متى حدث هذا ؟

رفعت (مشيرة) يدها ، فتألقت دبلة الخطبة فى إصبعها ، وهى تقول :

ـ صباح اليوم .. لقد فاجأنى (أكرم) بهذا .

اندفع (نور) و (سلوى) يهنئان (مشيرة) و (أكرم) ، ثم قالت (سلوى) وهى تجفف دموعها :

ـ أعتقد أننا لانستطيع رفض حضور الحفل ، فى هذه الحالة .

قال (أكرم) بابتسامة كبيرة :

ـ وستندمان كثيرًا لو رفضتما ، فلقد دعوناكما لمشاهدة أعظم ساحر فى القرن الحادى والعشرين ، وصاحب أكثر عروض السحرة إبهارًا وإمتاعًا .

قال (نور) فى دهشة :

ـ إلى هذا الحد ؟!.. كيف لم نسمع به إذن ؟

ضحكت (مشيرة) ، قائلة :

ـ إنكما لاتتابعان الحركة الفنية قط ..

ثم استطردت فى جدية واضحة :

ـ ولكننى أراهنكما على أن هذا العرض سيبهركما ، وسيفجّر فى أعماقكما الكثير .. والكثير جدًا .

ولم تدر لحظتها كم كانت على الحق ..

إن هذا العرض لن يفجّر فى أعماقهما الكثير فحسب ، بل سيكون لهما بمثابة القنبلة ..

قنبلة من الخطر ..

كل الخطر ..

★ ★ ★

« سيداتى آنساتى سادتى .. الآن يحين دور عرضنا الخاص ، الذى تنتظرونه بفارغ الصبر .. عرض الإثارة والسحر والإبهار ، مع القرن الحادى والعشرين (شاين) .. » التهبت أكف الحاضرين بالتصفيق فى حماس ، فى حين مال (نور) نحو (مشيرة) ، يسألها فى اهتمام :

- (شاين) ؟!.. ما جنسية هذا الساحر بالضبط ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وهى تجيب :

- لا أحد يدرى .. لا توجد أية معلومات عنه ، أو عن عروض سابقة له .. إنه يرفض اللقاءات والأحاديث الصحفية .. باختصار .. هو رجل شديد الغموض .

أثارت عباراتها اهتمام (نور) وفضوله ، فاعتدل يراقب المسرح ، الذى ظهر فوقه رجل نحيل ، دقيق الملامح ، حاد النظرات ، حليق الوجه ، يبتسم فى ثقة وهدوء ، وهو يدير عينيه فى الحاضرين ، مرتديًا حلّة سهرة سوداء أنيقة ، وهمست (سلوى) :

- إنه يبدو أشبه بلورد بريطانى قديم .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى التفت الساحر نحوها بحركة حادة ، وخُيِّل إليها أن عينيه تبرقان ، وهو يرمقها بنظرة طويلة ، ويبتسم فى خبث ، فهتفت :

- (نور) .. لقد سمعنى هذا الرجل .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

- مستحيل يا (سلوى) .. إننا نبعد عنه عشرة أمتار على الأقل ، وأنت نطقت عبارتك فى همس .

قالت متوترة :

- ولكنه سمعنى .. أكاد أقسم على هذا .

همّ (نور) بالاعتراض مرة أخرى ، لولا أن قال (الساحر) فجأة ، بصوت هادئ عميق ، بدا وكأنه قادم من كهف غائر ، وهو يبتسم فى خبث :

- يقولون إننى أسمع دبيب النمل .. وهذا صحيح .

التفت إليه (نور) فى دهشة بالغة ، ولكنه تابع بنفس العمق والهدوء :

- وكذلك أرى ما لا يراه الآخرون ، وأفعل ما يعجزون عن فعله .. ولهذا أطلقوا علىَّ لقب (الساحر) .. وخاصة عندما رأونى أفعل هذا .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع جسده عن الأرض ، وتعلق فى الهواء ، فشهقت (مشيرة) ، هاتفة :

- هل رأيتم هذا ؟

مطّ (أكرم) شفتيه ، وقال :

- إنها خدعة بسيطة .. ربما يجذبه مساعده بحبل غير مرئى إلى أعلى ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى الساحر ، الذى حرّك قدميه فى هدوء ، وراح يسير فى الهواء ، كما لو يسير فوق أرض صلبة قوية ، وقطع المسافة فوق رءوس الحاضرين ، حتى بلغ منضدة (نور) ومال نحو (أكرم) ، قائلًا فى سخرية :

ـ تُرى أين يقف مساعدى الآن ؟

تطلّع إليه الجميع فى دهشة بالغة ، وتراجع (أكرم) ، هاتفًا :

ـ إنها خدعة .. أكاد أقسم إنها كذلك .

اعتدل الساحر ، ومطّ شفتيه فى أسف ، وهو يقف معلقًا فى الهواء ، وقال :

ـ من الواضح أنك شخص يصعب إقناعه .

ثم استدار مستطردًا :

ـ اتبعنى .

تردّد (أكرم) لحظات ، عاد خلالها الساحر إلى خشبة المسرح ، وهبط بجسده ليقف فوقها ثابتًا ، وتعلّقت كل الأنظار بـ (أكرم) ، فخشى أن يتهمه الجميع بالخوف ، مما جعله ينهض فى عصبية ، ويتجه إلى خشبة المسرح ، ويقف أمام الساحر فى تحدّ ، ولكن هذا الأخير عاد يبتسم فى دهاء ، وهو يقول :

ـ هل تشعر بالخوف يا سيّد (أكرم) ؟

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ كيف عرفت اسمى ؟

هزّ الساحر كتفيه ، وقال :

ـ إننى أعرف الكثير .. أعرف مثلًا أنك تشعر دائمًا بعدم الانتماء إلى هذا العالم ، وبرغبتك فى الفرار منه .. وسأقدّم لك خدمة العمر يا سيّد (أكرم) .. سأجعلك تذهب بعيدًا عن هذا العالم .. بعيدًا جدًا .

وحرّك أصابعه بغتة ، فبرزت بينهم عصا رفيعة ، أدارها أمام (أكرم) ، قائلًا :

ـ هيّا .. اذهب .

وفجأة ، ومع آخر حروف كلمته ، اختفى (أكرم) : اختفى تمامًا ، كما لو أنه لم يكن هناك قط ..

وبُهت الحاضرون لحظة ، ثم انطلقوا فجأة يصفقون فى حرارة وانبهار ، فى حين اعتصرت أصابع (نور) مسند مقعده ، و (مشيرة) تهتف فى توتر :

ـ ربّاه !.. أين ذهب (أكرم) ؟

أجابتها (سلوى) فى اضطراب :

ـ إنها خدعة .. هى حتمًا كذلك !

أما (نور) ، فكان له رأى آخر ..

لقد اختفى (أكرم) على نحو عجيب ، لم يشاهد له مثيلًا من قبل ..

لم يحاول الساحر إخفاءه خلف حرملة سوداء ، أو إحاطته بساتر معتم ، أو حتى دفعه خلف حاجز ما ..

لقد اختفى أمام عيون الجميع ، دون أن يترك أدنى أثر .. ودون مقدمات ..

وفى هدوء واثق عجيب ، استدار الساحر (شاين) إلى الحاضرين ، وردّ على تصفيقهم وهتافهم بانحناءة أنيقة ، وابتسامة واثقة ساخرة ، ثم اعتدل ، ولوّح بكفه ، واتجه إلى الكواليس فى خفة وبساطة ..

وهتفت (مشيرة) فى ارتياع :

ـ ألن يعيد (أكرم) .

ولم تكد تتم عبارتها ، حتى وثب (نور) من مقعده ، وقفز إلى خشبة المسرح ، واندفع نحو الساحر ، هاتفًا فى عصبية :

ـ انتظر .

استدار إليه الساحر فى هدوء ، وعيناه تبرقان على نحو عجيب ، فاستطرد (نور) فى صرامة تحمل رنة غاضبة :

ـ أعد إلينا رفيقنا ، قبل أن تتصرف .

هزّ الساحر كتفيه فى هدوء ، وقال :

ـ وهل تصوّرت أننى سأحتفظ به ؟

ثم لوّح بعصاته ، مستطردًا :

ـ ها هو ذا .

ومرة أخرى ، ومع آخر حروف كلمته ، ظهر (أكرم) بغتة على خشبة المسرح ، فى نفس النقطة التى اختفى فيها ..

وفى هذه المرة ، جن جنون الحاضرين ، فاندفعوا يصفقون فى حرارة منقطعة النظير ، وهم يهلّلون ويهتفون ، فى حين ازداد بريق عينى الساحر ، واتسعت ابتسامته الواثقة الساخرة ، وهو يقول :

ـ أشكرك أيها الرائد (نور) .. لقد جعلت برنامجى الليلة متميزًا .

قالها وانحنى مرة أخرى تحية لجمهوره الملتهب بالحماس ، ثم غادر خشبة المسرح فى خطوات واسعة واثقة ..

والتفت (نور) إلى (أكرم) ، الذى بدا مذعورًا ، جاحظ العينين ، زائغ البصر ، فسأله (نور) فى قلق :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟

بدا اضطراب (أكرم) واضحًا ، وهو يقول :

ـ هذا الرجل ساحر .. ساحر حقيقى .

قاده (نور) فى رفق إلى المائدة ، وهو يسأله فى اهتمام :
ـ لماذا تقول هذا ؟
وسألته (مشيرة) فى لهفة وقلق :
ـ ماذا فعل بك هذا الرجل ؟.. كيف جعلك تختفى ؟
لوّح (أكرم) بكفيه ، وهو يقول :
ـ لست أدرى .. لقد أشار بعصاه ، فوجدت نفسى فجأة فى عالم آخر .. بل فى لاشىء .. فى فراغ تام .. لقد أرسلنى إلى العدم .. يا إلهى !.. لست أدرى كيف أصف هذا الشعور !!
غمغم (نور) فى توتر :
ـ أنا أفهمك .. لقد مررت بتجربة مشابهة(*) .
وبدا اهتمام شديد على وجه (مشيرة) ، وهى تغمغم :
ـ هذا يعنى أنه ساحر حقيقى .
قالت (سلوى) فى شىء من القلق :
ـ أو يخفى سرًا غامضًا .
قالت (مشيرة) فى شرود :
ـ وفى الحالتين يستحق الأمر محاولة لتسجيل مقابلة معه .
ولكن (أكرم) لوّح بكفيه ، قائلًا :

(*) راجع قصة (أرض العدم) .. المغامرة رقم (٨٣) .

ـ إنه شىء رهيب .. رهيب للغاية .. إننى لم أشعر بمثل هذا الذعر ، فى حياتى كلها .. لقد راودنى شعور بأننى سأبقى فى ذلك العدم إلى الأبد .
عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :
ـ ولكن كيف فعل هذا ؟
أجابته (سلوى) :
ـ هذا الرجل يخفى سرًا غامضًا يا (نور) .
ثم التفتت إلى حيث تجلس (مشيرة) ، مستطردة :
ـ ألا تشعرين بهذا يا ...
وبترت عبارتها بغتة ، هاتفة :
ـ أين (مشيرة) ؟
التفت الجميع إلى مقعد (مشيرة) ، وتفجّرت الدهشة فى أعماقهم ..
لقد اختفت هى الأخرى ..
اختفت تمامًا .

* * *

وارتسمت على شفتيها ابتسامة ساحرة ، وهى تتطلّع إلى كوكب الأرض ، الذى بدا كقرص فضى كبير ..

٢ ـ المقـابلة ..

استنشقت (نشوى) الهواء النقى فى عمق ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة ساحرة ، وهى تتطلّع إلى كوكب الأرض ، الذى بدا كقرص فضى كبير ، من خلف القبة الزجاجية السميكة ، التى تحيط بمعسكر الرواد ، على سطح القمر ، وقالت فى خفوت :

ـ يا له من مشهد رائع !.. من يصدّق أن هذا المكان الساحر كان فيما مضى مجرّد سجن كئيب ؟!

ابتسم (رمزى) ، وهو يقول :

ـ بل وكان مسرحًا لأحداث دموية بشعة أيضًا ، ولكنهم قاموا بتجديده ، وتزويده بنظم تهوية وتدفئة حديثة ، بحيث أصبح مثاليًا كمعسكر تدريب ، لهؤلاء الروّاد الجدد .

سأله (محمود) فى شىء من القلق :

ـ وهل تعتقد أننا نصلح لتنشئة هذا الجيل الجديد ؟

هزّ (رمزى) رأسه ، وقال :

ـ لست أدرى .. النتائج وحدها ستجيب عن هذا السؤال .. كل ما علينا هو أن نبذل قصارى جهدنا فحسب .

ضحكت (نشوى) ، وهى تقول :

- هل تعلمان ؟.. لقد كنت أرتجفت رعبًا فى البداية ، وأنا أفكر فى أننى سأقيم لفترة ما على سطح القمر ، ولكن الطبيعة هنا ساحرة للغاية ، وتجعلنى أتمنى البقاء طويلًا .

رفع (محمود) حاجبيه فى دهشة ، وهو يغمغم :

- الطبيعة ساحرة ؟!.. أى قول هذا ؟.. لست أرى حولنا سوى الظلام والصخور .

أشارت بسبابتها إلى أعلى ، قائلة :

- والأرض .. ألا تبدو لك ساحرة ، وهى تتألق فى الفضاء هكذا ؟

جاء دوره ليضحك ، وهو يقول :

- عظيم .. لقد أوقعنى سوء حظى مع اثنين من كبار الرومانسيين(*) .

ابتسم (رمزى) ، وهو يقول :

- ما رأيك ؟.. أليس هذا أفضل من الصراعات العنيفة ، التى نواجهها بين الحين والآخر ، على سطح الأرض ؟

(*) الرومانسية : نزعة فنية ، تدعو إلى العودة للطبيعة ، وإيثار الحس والعاطفة على العقل والمنطق .. تأثر بها فنانو القرن التاسع عشر ، من أدباء ومصورين وموسيقيين ، فثاروا على القواعد والأشكال الكلاسيكية ، مع الاهتمام بالجانبين ، العاطفى والروحى .

هتف (محمود) :

- بالتأكيد .. يمكننا أن نعتبر وجودنا هنا بمثابة رحلة استجمام ، بعد كل ما قاسيناه من أهوال ، فى أعماق المحيط(*) ، فكل شىء حولنا يوحى بالهدوء والسكينة والاسترخاء ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، اقترب منهم أحد رجال الأمن فى المعسكر ، وقال بقلق واضح :

- أيها السادة .. إننا نواجه ظاهرة غير مفهومة .

التفتوا إليه فى قلق ، وسأله (محمود) :

- أية ظاهرة ؟!

بدت الحيرة واضحة فى صوت الرجل ، وهو يجيب :

- أجهزة الرصد أصابها ارتباك عجيب ، والكمبيوتر اختلّ بشدة ، والأجهزة الأخرى تسجّل موجات تصادمية غريبة ، على الرغم من عدم وجود أية زلازل أو هزّات أرضية فى المنطقة .

تبادلوا نظرات قلقة حائرة ، ثم غمغمت (نشوى) :

- ما الذى يعنيه هذا ؟

قال (رمزى) فى حسم :

- دعونا نر ما أصاب الأجهزة أوّلًا .

(*) راجع قصة (ضد الزمن) .. المغامرة رقم (٩١) .

انتقل ثلاثتهم إلى مركز المراقبة ، وحاولت (نشوى) السيطرة على جهاز الكمبيوتر ، وهى تقول فى حيرة :

ـ ما هذا بالضبط ؟.. المفروض أن يسجّل هذا الكمبيوتر كل التغيرات المناخية ، داخل وخارج المعسكر ، ولكن الأرقام التى تحملها شاشته مجنونة للغاية .. إنها تشير إلى خلل هائل وغير منطقى ، فى التوازن الجوى .

قال (محمود) فى قلق :

ـ وهذه الموجة التصادمية غير معقولة ، فصحتها تعنى أن القمر سينشطر بعد لحظات إلى شطرين ، و ...

بتر عبارته بغتة ، مع صوت أحد رجال الأمن ، وهو يصرخ :

ـ ربّاه !.. انظروا هناك .

اندفعوا جميعًا إلى حيث يقف ، وحدّقوا فى النقطة التى يشير إليها ، فى منتصف ساحة المعسكر تمامًا ، واتسعت عيونهم فى دهشة وانبهار ..

فأمام عيونهم مباشرة ، وفى قلب معسكر تدريب رواد الفضاء الجديد ، كانت تحدث ظاهرة عجيبة .. عجيبة للغاية ..

* * *

لم تستطع (مشيرة) ، بطبيعتها الصحفية ، احتمال فكرة العودة إلى المنزل ، دون إجراء حوار مع (شاين) ، أبرع ساحر رأته فى حياتها ..

كانت واثقة من أن أى لقاء معه ، على شاشة (أنباء الفيديو) ، كفيل بمنحها نقطة تفوّق جديدة ، فى عالم صحافة الفيديو الحديث ..

ـ إنها حتى لم تشعر بنفسها ، وهى تغادر المائدة ، وتهرع إلى الكواليس ؛ لتلتقى به ، قبل أن يختفى فى حجرته ..

ولكن رجال الأمن اعترضوا طريقها فى صرامة ، وقال لها أحدهم فى غلظة :

ـ إلى أين يا سيّدتى ؟

أجابته فى لهفة :

أريد مقابلة الساحر (شاين) .

قال الرجل فى صرامة :

ـ هذا محظور تمامًا .. إنه لا يلتقى بالجمهور قط .

قالت فى عصبية :

ـ لست مجرّد مشاهدة عادية .. أنا (مشيرة محفوظ) ، رئيسة قسم التحقيقات ، بجريدة (أنباء الفيديو) ، و ...

قاطعها فى خشونة :

- هذا يضيف خطرًا جديدًا ؛ فالسيِّد (شاين) يرفض اللقاءات الصحفية تمامًا .

قالت فى توتر ، وهى تحاول إزاحة الرجل عن طريقها :

- دعنى ألتق به ، وسأقنعه بالعكس .

قال فى صرامة شديدة :

- الأوامر هى الأوامر .

صاحت فى غضب :

- ليس من حقك منعى من مقابلته .

أتاها صوت حازم ، يقول :

بل له كل الحق يا سيِّدتى .. إنه يتقاضى راتبه من أجل هذا .

التفتت إلى مصدر الصوت ، ورأت رجلًا قصير القامة ، قدَّم نفسه إليها ، قائلًا :

- أنا مدير هذا المسرح ، وسياستنا تحتم توفير الراحة التامة لنجومنا .

قالت محاولة إقناعه :

- ولكنكم تنشدون الربح .. أليس كذلك ؟.. إذا ما منحتنى فرصة إجراء مقابلة واحدة مع (شاين) ، سأقدِّمه فى برنامجى للمشاهدين ، مما يضاعف من شهرته وشهرة مسرحك ، و ...

قاطعها بابتسامة ساخرة :

- هل شعرت أننا بحاجة للمزيد من الشهرة ؟!.. إن المسرح يمتلئ يوميًا بالمشاهدين ، الذين قدموا من كل مكان لرؤية ساحر الأعاجيب ، حتى أننا نفكِّر جديًا فى شراء مكان أكثر اتساعًا ، لاستيعاب كل من لا يساعدهم حسن الحظ فى الحصول على تذكرة لمشاهدة (شاين) ، مع حجم مسرحنا الحالى .

بدا الإحباط على وجهها ، وهى تقول :

- إذن فأنت ترفض .

أجابها فى حسم :

- بكل تأكيد .

انعقد حاجباها فى غضب ، وهى تقول :

- فليكن .. ولكننى لن أتوقَّف عن المحاولة .

تراجعت مغادرة المكان فى اعتداد وكبرياء ، ولكنها لم تكد تتجاوز منطقة الرؤية ، حتى انحرفت جانبًا ، واختفت خلف ستارة المسرح ، ثم تسلَّلت إلى ما خلف الكواليس ، وتحرَّكت فى سرعة ، حتى بلغت النوافذ الخلفية ، وتمتمت لنفسها :

- تُرى أية واحدة منها هى نافذة حجرة (شاين) .. آه .. لقد رأيته يدخل حجرة فى نهاية الممر .. إنها النافذة الأخيرة إذن .

قطعت المسافة المتبقية بخطوتين واسعتين ، وتعلقت بحاجز نافذة (شاين) ، ثم دفعت جسدها إلى أعلى ، لتطل منها داخل الحجرة ..

كانت حجرة (شاين) بالفعل ، وكان هذا الأخير يوليها ظهره ، وهو يصف أدواته فى عناية بالغة ، داخل صندوق مستطيل ، مصنوع من مادة شبيهة بالزجاج ، فعبرت (مشيرة) النافذة فى خفة ، ثم وثبت داخل الحجرة ، وهى تقول :

ـ سيد (شاين) .. هل لى فى إجراء مقابلة معك ؟

قفز (شاين) من مكانه ، وقد باغته صوتها ، واستدار إليها فى حركة حادة ، والغضب يملأ ملامحه ..

واتسعت عينا (مشيرة) فى رعب ، وهى تحدق فى وجهه ..

ثم انطلقت من حلقها صرخة ..

صرخة رعب هائلة ..

★ ★ ★

تلفت (أكرم) حوله فى توتر ، وهو يقول :

ـ أين ذهبت (مشيرة) ؟.. أهذا وقت مناسب ، لتختفى فيه على هذا النحو ؟

قال (نور) فى بطء :

ـ أعتقد أنها ذهبت لتعدل زينتها ، أو ..

وأدار عينيه نحو المسرح ، قبل أن يستطرد فى حزم :

ـ أو ذهبت للقاء ذلك الساحر .

ارتفع حاجبا (سلوى) ، وهى تقول :

ـ ولكن لماذا لم تخبرنا ؟

أجابها (أكرم) فى عصبية ، وهو ينهض من مقعده :

ـ لأنها خشيت أن نمنعها .. أنا أعرفها جيدًا .

تبعه (نور) و (سلوى) إلى الكواليس ، و (نور) يقول ، محاولًا تهدئته :

ـ ما دمت تعرفها جيدًا ، فأنت تقدر اهتمامها بعملها ، وحرصها الشديد على تقديم كل جديد ، والفوز بالتحقيقات الصحفية المثيرة .

بلغ الثلاثة تلك النقطة ، التى يقف عندها رجال الأمن ، فسألهم (أكرم) :

ـ أين (مشيرة) ؟

أجابه أحدهم فى برود :

ـ من (مشيرة) هذه ؟!

قال (نور) :

إنها صحفية معروفة ، ترتدى ثوبًا بنفسجيًا ، وتزيِّن الجانب الأيسر من صدرها بدبوس ذهبى ، له صورة طاووس مفرود الذيل .

مطَّ الرجل شفتيه ، وقال :

ـ ابحث عنها فى مكان آخر ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، انطلقت صرخة (مشيرة) ..

كانت مكتومة ، آتية من بعيد ، ولكنها جعلت جسد (أكرم) ينتفض كله فى قوة ، وهو يهتف فى جزع :

ـ ربَّاه !.. إنها (مشيرة) .

حاول الحارس اعتراض طريقه ، وهو يقول فى غلظة :

ـ رويدك .. ليس من المسموح به أن تتجاوز هذه النقطة ، إلا بـ ..

ولكن (أكرم) لم يمنحه فرصة إتمام حديثه ..

لقد هوى على فكه بلكمة قوية ، أزاحته تمامًا عن الطريق ، ثم اندفع يعدو عبر الممر ، ولكن الحارسين الآخرين انتزعا مسدسيهما ، واندفعا نحوه ..

وهنا انتزع (نور) مسدسه بدوره ، وهو يهتف :

ـ حذار أيها السادة ، وإلا فسيتحوَّل المكان إلى ساحة قتال .

ـ فليصبح كذلك ، وسنرويها بدمائكم .

صرخت (سلوى) هلعًا ، ولكن (نور) تحرَّك فى رشاقة ، وأطلق أشعة مسدسه أوَّلا ، فأصاب مسدس الحارس بدقة مدهشة ، وأذاب فوهته ، فى نفس اللحظة التى انقضَّ فيها (أكرم) على الحارس الثانى ، وأمسك معصمه بيسراه ، ثم هوى على فكه بلكمة قوية بيمناه ، وهو يصرخ :

ـ ماذا فعلتم بها أيها الأوغاد ؟.. ماذا فعلتم بخطيبتى (مشيرة) ؟

ارتفع فجأة صوت هادئ عميق ، يقول :

ـ لم نفعل بها شيئًا .. ها هى ذى سليمة معافاة .

استدارت عيون الجميع إلى مصدر الصوت ، ووقع بصرهم على (شاين) ، الذى وقف يبتسم فى هدوء ، وعيناه تبرقان فى شدة ، وإلى جواره وقفت (مشيرة) هادئة ، مبتسمة ، وهو يستطرد :

ـ أعترف أن صديقتكم هذه ذكية ومثابرة .. لقد أقنعتنى بعمل مقابلة صحفية معها غدًا ، على شاشة (أنباء الفيديو) .

عقد (أكرم) حاجبيه فى شدة ، وهو يحدِّق فى (مشيرة) ، التى بدت له مختلفة إلى حد ما ، فى حين قالت (سلوى) فى حيرة :

ـ ولكن لماذا صرخت ؟

لوّح (شاين) بكفه ، وأجاب مبتسمًا :

ـ إنه فأر صغير ، تسلل إلى حجرتى .. وأنت تعرفين ما تعنيه رؤية فأر صغير ، بالنسبة للنساء .

لم يعلّق (نور) بحرف واحد ، وهو يراقب الموقف فى إمعان ، و (شاين) يستدير لمصافحة (مشيرة) ، قائلًا :

ـ اتفقنا يا سيدتى .. سأنتظركم غدًا ، بعد انتهاء العرض مباشرة ، وأهنئك على نجاحك فى إقناعى .

صافحته فى صمت ، واتجهت إلى حيث يقف (نور) و (سلوى) و (أكرم) ، وهتف بها الأخير فى غضب :

ـ هل تدركين ما فعلته بنا ؟!.. لقد أصابنا الذعر من أجلك ، و ...

تجاهلته تمامًا ، وواصلت طريقها ، دون أن تجيب ببنت شفة ، فانعقد حاجباه فى غضب وحنق ، وهو يقول لـ (نور) و (سلوى) :

ـ هل رأيتما ما تفعله ؟!.. إنها تتجاهلنى تمامًا .

التقى حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يراقب (شاين) ، الذى عاد مسرعًا إلى حجرته ، وأغلق بابها خلفه ، ثم أدار عينيه إلى (مشيرة) ، التى واصلت تجاهلها لـ (أكرم) ، وهى تتجه نحو خشبة المسرح ، التى هبطت ستارتها ، فحجبتها عن أعين المشاهدين ، و ...

ثم أدار عينيه إلى (مشيرة) ، التى واصلت تجاهلها لـ (أكرم) ، وهى تتجه نحو خشبة المسرح ..

وفجأة ، وثب (نور) نحو (مشيرة) ، وجذبها من ذراعها فى شدة ، وهو يقول :

- من أنت بالضبط ؟!

صاح (أكرم) مستنكرًا :

- (نور) .. ماذا تفعل ؟!

وارتفع حاجبا (سلوى) فى دهشة ، وخاصة عندما أبعد (نور) يده فى حركة عنيفة ، وهو يحدّق فى (مشيرة) ذاهلًا ..

أما رد فعل (مشيرة) نفسها ، فقد بدا كأغرب ما يمكن استيعابه ..

لقد استدارت فى هدوء مثير ، وتطلّعت إلى (نور) فى برود عجيب ، و (نور) يحدّق فيها بدهشة بالغة ، فى نفس الوقت الذى كرّر فيه (أكرم) فى غضب :

- ماذا تفعل يا (نور) ؟.. كيف تعامل (مشيرة) هكذا ؟.. صحيح أنها أثارت غضبى ، ولكن ليس من حقك أن ...

قاطعه (نور) فى حزم :

- هذه ليست (مشيرة) .

هتفت (سلوى) فى دهشة بالغة :

- ليست (مشيرة) ؟!

أما (أكرم) ، فقد اتسعت عيناه فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وهو يحدّق فى (مشيرة) ، التى ظلت صامتة باردة ، وكأنما الأمر لا يعنيها ، وتابع (نور) :

- إنها مجرّد شىء شبيه بـ (مشيرة) ، ولكنها ليست (مشيرة) نفسها .. انظروا إلى دبوسها الذهبى .. إنه معكوس ، ومعلق إلى يمين صدرها .. كل شىء فيها معكوس ، كما لو أنها صورة فى مرآة .

وتردّد لحظة ، قبل أن يستطرد :

- ثم إنها باردة كالثلج ، ولها ملمس عجيب ، أشبه بالأسفنج ، و ...

قاطعه (أكرم) ، هاتفًا فى ذعر :

- ربّاه !.. لهذا بدت مختلفة .

ثم اندفع نحو شبيهة (مشيرة) ، صائحًا بها :

- أين (مشيرة) ؟.. ماذا فعلت بها ؟

تطلّعت إليه تلك الشبيهة فى برود عجيب ، وبنظرة خاوية تمامًا ، فجذبها من ذراعها ، هاتفًا فى حدة :

- أجيبى وإلا ..

ولم يكد يفعل ؛ حتى ارتجف جسده كله ، وسرت فيه قشعريرة باردة كالثلج ، وجحظت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق مع الجميع فى تلك الشبيهة ، التى أصابها تحوّل عجيب ..

بل تحوّل مذهل ..

مذهل للغاية .

★ ★ ★

٣ ـ رعب على القمر ..

انتفض قلب (نشوى) بين ضلوعها ، وهى تراقب تلك الظاهرة العجيبة ، التى تتكوّن فى قلب ساحة المعسكر ، وغمغمت فى اضطراب واضح :

ـ ما هذا بالضبط ؟

قال (رمزى) فى توتر :

ـ لست أدرى .. لم أشاهد فى حياتى كلها شيئًا كهذا .

أما (محمود) ، فقد عدّل منظاره الطبى فوق أنفه ، وهو يراقب ما يحدث فى دهشة واهتمام ، ويحاول مراجعته مع كل الظواهر الطبيعية والمصطنعة ، التى رآها ، أو قرأ عنها من قبل ..

ولكن ما يراه كان عجيبًا بحق ..

كانت هناك كرة خضراء متألقة ، تدور حول نفسها فى بطء ، على ارتفاع نصف المتر من سطح القمر ، وتزداد تألقًا فى كل لحظة ، مع تضاعف سرعة دورانها ..

وفى منتصفها بالضبط ، كان هناك ما يشبه البرق ..

شرارات مضيئة ، تظهر وتختفى فى سرعة ، مع فرقعة مكتومة ..

وفى حيرة ، مال (رمزى) على أذن (محمود) ، وسأله :

ـ أتعتقد أن لهذا علاقة بسكّان القمر(*) ؟

هزّ (محمود) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلّا .. إنهم قوم مسالمون كما تعلم ، وهذا الشيء يوحى بالشر .

غمغمت (نشوى) :

ـ إنه يثير فى نفسى القلق والرعب ، و ...

شهقت فجأة ، قبل أن تتم عبارتها ، وجفلت فى ارتياع ، عندما تطوّر الأمر على نحو مباغت مخيف ..

لقد تمدّدت تلك الكرة الخضراء بغتة ، واستطالت ، وبدا وكأن شيئًا ما يضغطها إلى الخارج ، محاولًا الخروج منها ..

وصرخت (نشوى) :

ـ ما الذى يحدث هنا ؟

قال (رمزى) فى توتر شديد :

ـ هناك شيء ما يولد ، داخل هذه الكرة .

(*) راجع قصة (سجن القمر) .. المغامرة رقم (٤٨) .

وارتجف صوت (محمود) ، وهو يضيف :

ـ شيء شيطانى .

لم يكد يتم عبارته ، حتى امتدّت ذراع بشرية فجأة ، خارج الكرة ..

أو هى ذراع شبه بشرية ، خضراء البشرة ، يرتدى صاحبها شيئًا أزرق اللون ..

وشهقت (نشوى) مرة أخرى فى ارتياع ، وهتف (رمزى) :

ـ ربّاه !!.. إننا لن نكتفى بالمراقبة .. أليس كذلك ؟

هبّ قائد الأمن من مقعده ، وهو يقول فى حزم :

ـ بالتأكيد .. هيا يا رجال .. سنواجه ذلك الشيء أيًا كان .

واندفع مع فريقه ، الذى يتكوّن من خمسة رجال أمن فحسب ، فانتقلوا إلى ساحة المعسكر ، والتفوا حول الكرة الخضراء ، وهم يصوبون إليها مدافعهم الليزرية ، على الرغم من أن تلك الذراع شبه البشرية قد تراجعت داخلها ، واختفت مرة أخرى ..

وعلى بعد أمتار منهم ، وفى دائرة أكثر اتساعًا ، وقف روّاد الفضاء الجدد ، يراقبون الموقف فى حذر وانتباه واهتمام ، فهتف (رمزى) من حجرة المراقبة ، عبر مكبّر صوتى خاص :

ـ عودوا جميعًا إلى حجراتكم .. إنها مشكلة أمنية ، ولا يجوز أن تتدخلوا فيها .

ولكن فضول هؤلاء الشبان فاق كثيرًا صوت عقولهم ، وروح الحذر فى أعماقهم ، فتجاهلوا نداء (رمزى) تمامًا ، وظلوا فى أماكنهم ، يراقبون الكرة ، التى تزايدت سرعة دورانها فى شدة ، وراحت تتخذ أشكالًا عجيبة مختلفة ، وتبرز من مناطق متباينة ، ثم تعود لتنكمش ، وتتمدد مرة أخرى ، فى تعاقب مثير للقلق والحيرة ..

وتحفزت أصابع رجال الأمن على أزندة مدافعهم ، وكرّر (رمزى) النداء فى عصبية :

ـ إنكم تعرّضون أنفسكم لمخاطر لا ضرورة لها .. عودوا إلى حجراتكم ، قبل أن ...

ولم يجد الوقت ليتمّ عبارته ..

لقد تمدّدت الكرة فجأة ، ثم اندفع خارجها جسم شبه بشرى ..

أو هو جسم بشرى تمامًا ، فى هيئته وتكوينه ، فيما عدا لون بشرته الأخضر ، وشعره الزيتونى الداكن ..

واعتدل ذلك الكائن واقفًا ، وهو يدير عينيه فيمن يحيطون به ، فى قسوة وصرامة ..

كان عملاقًا ، يناهز المترين طولًا ، ويرتدى زيًّا أزرق اللون ، من قطعة واحدة ، ومن مادة أشبه بالمطاط ، ويمسك بيده سلاحًا يشبه المسدس ، له كرة زجاجية كبيرة فى مؤخرته ..

ولثوان ، ساد صمت رهيب فى المكان ، والعيون كلها تحدّق فى ذلك العملاق ، وتمتمت (نشوى) مرتجفة :

ـ من أين أتى هذا ؟.. وكيف ؟

وكأنما كانت عبارتها هذه هى إشارة البدء ..

إنها لم تكد تتمها ، حتى انتزع قائد الأمن نفسه من ذهوله ، وصاح برجاله :

ـ أطلقوا النار يا رجال .

وصرخ (رمزى) :

ـ لا .. لا داعى للقتال .

ولكن صيحة قائد الأمن وحدها بلغت مسامع الرجال ..

وارتفعت فوهات مدافعهم الآلية نحو العملاق الأخضر ، و ...

وتحرّك العملاق بسرعة مدهشة ، فضغط زرًّا فى حزامه ، أطلق حوله هالة صفراء ، لم تكد أشعة الليزر تبلغها ، حتى تلاشت فيها ، دون أن تبلغ جسده ..

وهنا حان دوره ..

وفى صرامة مخيفة ، صوّب العملاق سلاحه نحو قائد الأمن ، الذى تراجع هاتفًا : .

ـ لا .. لا .. إننا لم نكن نقصد هذا .

ولكن العملاق ضغط زناد سلاحه ..

ولم ينطلق من السلاح شيء مرئى ، ولكن جسد قائد الأمن قفز إلى الخلف فى عنف ، كما لو أن صاعقة هائلة أصابته ، ثم هوى أرضًا جثة هامدة ممزّقة ..

وتفجّر الرعب فى قلوب الجميع ، وانطلقوا يعدون فى كل مكان ، و (رمزى) يهتف من حجرة المراقبة :

ـ اهربوا .. أخلوا الساحة تمامًا .

إلا أن العملاق الأخضر راح يطلق سلاحه مرات ومرات ، وفى كل مرة ينسف أحد الأجساد التى تعدو من حوله ، من رجال الأمن ورواد الفضاء ..

وأخفت (نشوى) وجهها فى كفيها ، وهى ترتجف هاتفة :

ـ لماذا ؟!.. لماذا تراق كل هذه الدماء ؟!

هتف (محمود) :

ـ بل لماذا يحدث لنا هذا دائمًا ؟

اتسعت عينا (رمزى) فى ارتياع ، وهو يقول :

ـ ربّاه !.. ما الذى يفعله هذا الشخص بالضبط ؟

ارتفعت صيحات رواد الفضاء ، وآخر رجال الأمن ، عندما رأى الجميع ذلك العملاق الأخضر ، وهو يتجه إلى قاعدة القبة الزجاجية السميكة ، التى تحيط المعسكر ، وتفصل مناخه شبه الأرضى ، عن جو القمر ، ويصوّب إليها سلاحه الرهيب ..

وصرخ (رمزى) :

ـ لا .. لا تفعل هذا .

وانتفض جسد (نشوى) كله فى عنف ..

وهوى قلب (محمود) بين قدميه ..

وفى حزم شديد ، ضغط العملاق الأخضر زناد سلاحه ، وهو يصوّبه إلى قاعدة القبة الزجاجية ، و ...

وحدثت الكارثة ..

* * *

لم يصدّق (أكرم) عينيه ، وهو يحدّق فى شبيهة (مشيرة) ، التى سرت تشققات سريعة فى جسدها كله ، كما لو كانت مصنوعة من زجاج هش ، وهتفت (سلوى) :

ـ إنها ستنهار .

ومع آخر حرف نطقته ، حدث الانهيار بالفعل ..

حدث دون أدنى صوت ، فى لحظة واحدة ، عندما سقط جسد الشبيهة كما لو كان كومة من حطام الزجاج ، الذى تحوّل فى سرعة إلى غبار متألق ، تطلّع إليه الجميع فى ذهول ، قبل أن يستدير (نور) ، هاتفًا :

ـ (شاين) .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يندفع نحو حجرة (شاين) ، صائحًا :

ـ ذلك الوغد .

واقتحم الحجرة فى عنف غاضب ، وهو يصرخ :

ـ أين خطيبتى أيها الـ ....

وبتر عبارته فى دهشة ، وهو يتطلّع إلى الحجرة الخالية ، قبل أن يلحق به (نور) ويقول فى توتر :

ـ أين ذهب ؟

أشار (أكرم) إلى النافذة المفتوحة ، وقال فى غضب :

ـ هذا هو المخرج الوحيد .

أسرع (نور) إلى النافذة ، وتطلّع عبرها يمينًا ويسارًا ، قبل أن يغمغم فى حيرة :

ـ هذه النافذة تقود إلى ممر ضيق ، ينتهى عند خشبة المسرح ، ولو أنه تسلّل عبرها لشعرنا به أو لمحناه .

قالت (سلوى) فى حيرة :

ـ أين ذهب إذن ؟

أجابها (نور) فى حزم :

ـ فى مكان ما هنا .

وثب (أكرم) عبر النافذة ، وهو يقول .

ـ بعد أن نستبعد الحلول المنطقية ..

وتحرّك فى سرعة عبر الممر الضيق ، وبحث خلف قطع الديكور ، وحول الحجرات وفى كل مكان آخر ، ثم هتف فى حنق :

ـ اللعنة !.. أين ذهب ذلك الحقير ؟

وعاد أدراجه ساخطًا ، فوجد (نور) و (سلوى) يقفان فى منتصف الحجرة ، و (سلوى) تضغط أزرار ساعتها الدقيقة فى اهتمام ، و (نور) يسألها :

ـ ماذا وجدت ؟

لم يفهم (أكرم) ما يفعلانه بالضبط ، ولكنه سمع (سلوى) تجيب ، وهى تشير إلى الجدار الشرقى للحجرة :

ـ هذا الجدار مصمت ، والجدار الشمالى يحوى النافذة ، والجنوبى هو مدخل الحجرة .

ثم أدارت ساعتها إلى الغرب ، قبل أن تستطرد :

ـ والجدار الغربى كذلك و ....

بترت عبارتها بغتة ، وبدا الاهتمام الواضح فى ملامحها ، فسألها (نور) :

- هل وجدت شيئا ؟!

قالت فى انفعال :

- الجدار نفسه مصمت ، ولكن أسفله توجد فجوة واسعة ، تقود إلى ممر طويل .

أسرع (نور) إلى حيث تشير ، ووجد أمامه صندوق الساحر ، فأزاحه جانبًا ، وتطلّع إلى الفجوة المستديرة أسفله ، والتى يمتدّ منها نفق طويل بالفعل ، إلى أعماق الأرض ، بزاوية حادة ، في حين هتف (أكرم) فى دهشة :

- كيف تنبأت بهذا يا سيّدتى ؟

أجابه (نور) فى كلمات سريعة :

- (سلوى) خبيرة صوتيات كما تعلم ، وساعتها هذه تُطلق موجات فوق صوتية ، تشى سرعة ارتدادها بطبيعة الأجسام التى تواجهها ، و ...

لوّح (أكرم) بكفه ، قائلًا :

- لا بأس .. لن أفهم شيئا ، ثم أشار إلى النفق ، مستطردًا في عصبية :

- المهم أن نلحق بهذا الوغد ، قبل أن يبتعد كثيرًا مع (مشيرة) .

استلّ (نور) مسدسه ، وهو يقول :

- ينبغى أن نتحرّك فى حذر ، خشية أن ..

قاطعه (أكرم) ، وهو يثب داخل النفق :

- لا وقت للحذر .. إنه سيفرّ بفعلته .

رآه (نور) ينزلق فى سرعة داخل النفق ، فغمغم فى توتر :

- وماذا لو كان فخًا ؟

قالها ووثب بدوره داخل النفق ، فترددت (سلوى) لحظة ، ومدير المسرح يقول فى ذهول :

- من أين أتى هذا الشىء ؟

وهنا حسمت (سلوى) ترددها ، وهبطت داخل النفق ، قائلة :

- هل تسألنى ؟

انزلق جسدها على الجزء المنحدر من النفق ، حتى هبطت داخل مكان أكثر اتساعا ، يمتدّ أمامه نفق آخر معتدل ، فهتفت فى دهشة :

- من يصدّق وجود شىء كهذا أسفل المسرح ؟!

كان من الواضح أنهم داخل نفق صناعى ، فجدرانه منتظمة تمامًا ، ومصقولة على نحو مثير للدهشة ، وعلى مسافات منتظمة من سقفه ، كانت هناك مصابيح خافتة

قالها ووثب بدوره داخل النفق ، فترددت (سلوى) لحظة ، ومدير المسرح يقول فى ذهول : ـــ من أين أتى هذا الشىء ؟..

الإضاءة ، تجعل الرؤية ممكنة ، وإن كانت غير واضحة تمامًا ..

وفى دهشة بالغة ، غمغم (أكرم) :

ـ كيف يمكن لرجل واحد أن يصنع شيئًا كهذا ؟

قال (نور) فى توتر :

ـ أأنت واثق من أنه رجل واحد ؟!

سرت قشعريرة باردة فى جسد (سلوى) ، وهى تقول :

ـ أتعنى أنه من المحتمل أننا نواجه كيانًا كاملًا .

تمتم ، وهو يدير عينيه فيما حوله فى حذر :

ـ لا يمكننا استبعاد هذا الاحتمال .

صمت الثلاثة فى وجوم ، وهم يتطلّعون إلى النفق الممتدّ إلى مسافة طويلة ، ثم قال (نور) فى حزم :

ـ سنواصل طريقنا .. ألدى أحدكما رأى آخر ؟

تعلّقت (سلوى) بذراعه ، وكأنها تعلن أنها ستتبعه حتّى آخر الدنيا ، فى حين عبّر (أكرم) عن رأيه بشكل عملى ، وهو يقول :

ـ هيّا بنا .

وتحرّك فى خطوات سريعة داخل النفق ..

ولعشرين مترًا كاملة ، لم يتغيّر المشهد قط ..

نفس الجدران المصقولة ، والإضاءة الخافتة ، والنفق الممتد إلى ما لا نهاية ..

وفى عصبية ، توقف (أكرم) ، قائلا :

- أما من نهاية لهذا الممر اللعين ؟

توقفت (سلوى) بدورها ، وقالت :

- يبدو وكأنه يمتد إلى ما لانهاية .

قال (نور) فى حزم :

- إننا لن نتوقف الآن ، بعد أن قطعنا هذا الشوط .

أشار (أكرم) بيده إلى النفق ، وامتداده اللانهائى ، وهتف فى حنق :

- وأين نتجه فى رأيك .. هذا النفق السخيف لا يمنحنى شعور بالأمل .. إننى أعجز حتى هذه اللحظة عن تصديق وجوده .

انبعث من خلفهم فجأة صوت (شاين) الساخر ، وهو يقول :

- ومن قال : إنه موجود ؟

استدار ثلاثتهم بسرعة إلى مصدر الصوت ، ورأوا (شاين) يقف أمامهم هادئا مبتسما ، وهو يضيف :

- إنه حتى لا يمتد أبدا .

وأشار بيده إلى ما خلفهم ، فالتفتوا بسرعة ، وشهقت (سلوى) فى دهشة وذعر ..

لقد انتهى امتداد النفق اللانهائى فجأة ، وأصبح هناك جدار آخر مصقول ، على بعد عشرة أمتار منهم ..

وفى غضب ، عاد (نور) يستدير إلى (شاين) ، قائلا :

- أى عبث شيطانى هذا ؟

ولكنه لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع حاجباه فى دهشة ، وشهقت (سلوى) ثانية ، وهتف (أكرم) :

- اللعنة !

فقد اختفى (شاين) فجأة كما ظهر ، وحلّ محلّه جدار آخر مصقول ، على الجانب الآخر ..

ولم يعد هناك نفق ممتد ، من أى الجانبين ..

فقط أصبح هناك سجن رهيب ، أشبه بمقبرة .. مقبرة للأحياء .

* * *

٤ ـ نفق الموت ..

انفجرت قاعدة القبة الزجاجية ..

وعلى الرغم من أن العبارة السابقة لم تكمل سطرًا واحدًا ، إلا أنها كانت كارثة ..

كارثة رهيبة ..

فمع انفجار القاعدة ، حدثت فجوة ضخمة فى القبة الزجاجية ، التى تحيط بمعسكر الروَّاد ، وتؤمن له مناخًا شبه أرضى ..

ومع الفجوة ، حدث اختلال هائل ومفاجئ فى معدلات الضغط والهواء ودرجات الحرارة(*) ..

وفى ارتياع ، سمع (رمزى) و (محمود) و (نشوى) فرقعة هائلة ، ورأوا جدران القبة الضخمة تتشقَّق على نحو مخيف ، وروَّاد الفضاء الشبان يحاولون الفرار،

(*) ليس للقمر غلاف جوى ، لذا فهو خال من الهواء ، كما أن الضغط على سطحه منخفض للغاية للسبب ذاته ، وتختلف درجات الحرارة على سطحه ، ما بين ٢١٥ إلى ٢٥٠ درجة فهرنهيتية ، أى حوالى (٧٧ إلى ١٢١ درجة مئوية) مما يعنى وجود اختلافات ضخمة ، بين مناخ الأرض ومناخ القمر .

بأقصى سرعتهم ، من ذلك الخلل المباغت ، ولكن أجسادهم اندفعت فجأة نحو الفجوة ، وتعالى صراخهم اليائس ، وهتفت (نشوى) فى انهيار :

ـ ربَّاه !.. كل شىء سيتحطم فى لحظات .. كل شىء سينتهى .

كانت الأجساد تتمزَّق وتنهار ، مع اختلاف الضغط المفاجئ ، والأكسجين يتسرَّب بسرعة مذهلة ، والصرخات تخفت وتتلاشى ، وأنهار الدماء الأرضية تسيل على سطح القمر ..

كل هذا والعملاق الأخضر صامد ثابت متماسك ، داخل هالته الصفراء المتألِّقة ، التى بدا من الواضح أنها تحميه وتقيه من كل التغيرات الرهيبة من حوله .

وتلفَّت (رمزى) حوله فى هلع ..

كان يعلم أن هواء المعسكر كله سينفد فى لحظات ، مع انهيار كامل فى الضغط ، بعد أن تؤدى تلك الفجوة الواسعة إلى تعادل الظروف والمناخ ، خارج وداخل القبة ..

وكان عليه أن يجد مخرجًا ، من هذا الموقف الرهيب ..

وفجأة ، قفزت إلى ذهنه حجرة معادلة الضغط ، التى يستخدمها روَّاد الفضاء ، فهتف :

ـ أسرعا .. لابد لنا من بلوغ حجرة الضغط بأقصى سرعة .

لم يناقشاه فى الأمر ، وإنما انطلقا إلى جواره ، عبر ممرات المعسكر ، فى طريقهم جميعًا إلى حجرة معادلة الضغط ، ومن خلفهم دوت فرقعة مكتومة ، فهتفت (نشوى) :

- رباه !.. ما هذا ؟

أجابها (رمزى) لاهثًا :

- إنها القبة الزجاجية .. لقد انهارت كلها .

قال (محمود) بدهشة :

- بفرقعة خافتة مكتومة كهذه ؟!

هتف (رمزى) :

- نعم .. وهذا يعنى أننا فقدنا معظم الهواء ، مما أدى إلى انخفاض صوت انهيار القبة(*) .

قالت (نشوى) فى توتر شديد :

- هناك دليل آخر على نقص الهواء .. إننى أتنفس فى صعوبة .

جذبها (رمزى) ، وهو يقول فى انفعال :

- تماسكى لعدة أمتار أخرى ، وسنبلغ الحجرة ..

حاولت أن تتماسك بالفعل ، ولكنها كانت تلهث بشدة ، وكان قلبها يخفق فى عنف ، فهتفت فى إعياء :

(*) الموجات الصوتية لاتنتقل فى الفراغ .

- لا .. لن يفلح هذا .

ثم تهاوت فاقدة الوعى ..

وبسرعة مدهشة ، استدار إليها (رمزى) ، وتلقاها على ذراعيه ، وهو يقول فى صعوبة :

- لا .. لا يا (نشوى) .. لاتنهارى الآن .

كانت حجرة معادلة الضغط على قيد أمتار قليلة منهم ، ولكنها بدت على بعد أميال ، مع النقص المطرد السريع فى الأكسجين ، والانخفاض المتتالى فى الضغط ، فترنح (محمود) بدوره ، وهتف :

- إنها على حق يا (رمزى) .. لن ننجح أبدًا .

صاح به (رمزى) ، وهو يجذب (نشوى) فى صعوبة إلى الحجرة :

- قاوم يا (محمود) .. قاوم .. إنها فرصتنا الأخيرة ، فإما أن ننجح وننجو ، أو تضاف أسماؤنا إلى سجل ضحايا هذه المذبحة البشعة .

قاوم (محمود) فى استماتة ، واستند إلى الجدار ، وهو يجرّ قدميه جرًا إلى الحجرة ، التى بلغها (رمزى) أخيرًا ، وانتزع منها زيًا من أزياء الفضاء ، وراح يدفع جسد (نشوى) الفاقدة الوعى داخله ، ولهث (محمود) فى هذه الأمتار القليلة ، كما لو كان يقطع مضمار سباق كاملًا ،

بأقصى سرعة له ، حتى بلغ الحجرة ، فانهار داخلها ، ونهض (رمزى) يُغلق بابها فى إحكام ، وعضلاته كلها تئن فى ألم ، مع نقص الأكسجين والطاقة ، ثم ضغط زرّ التعادل ..

وانتعش الأمل مرة أخرى من أعماقه ..

لقد عاد الضغط إلى ما كان عليه ، وتدفّق الأكسجين داخل الحجرة منعشًا نقيًا ، فهتف (محمود) ، وهو مستلق أرضًا :

يا إلهى !.. المرء لا يشعر قط بأهمية الأكسجين ، إلا عندما يفتقر إليه .

قال (رمزى) ، وهو يحاول إنعاش (نشوى) :

ـ ولكن حجرة الضغط غير مؤهلة للحفاظ على حياتنا طويلًا .. إنها ستمنحنا ساعة واحدة ، وبعدها تفقد طاقتها ، وينضب مخزونها من الأكسجين .

سأله (محمود) :

ـ وماذا سنفعل حينذاك ؟

أجابه فى توتر :

ـ ليس أمامنا سوى أمل واحد .. أن نرتدى أزياء الفضاء هذه ، ونحمل معنا أسطوانات أكسجين إضافية ، ونحاول بلوغ الصاروخ الذى أحضرنا إلى هنا ، لنعود به إلى الأرض .

استعادت (نشوى) وعيها ، وهو يتحدث إلى (محمود) ، واستمعت إلى الجزء الأخير من الحديث ، فاعتدلت قائلة :

ـ وهل تعتقد أننا سننجح فى هذا ، فى وجود ذلك العملاق الأخضر ؟

غمغم متوترًا :

ـ هذا يتوقّف على ما يسعى إليه .

هتف (محمود) :

ـ إنه سفاح بشع .. لقد أباد الجميع فى لحظات معدودة .. إننا الناجون الوحيدون حسبما أعتقد .. هل رأيتما تلك الدماء ، التى تغمر كل شىء فى الخارج ؟

أخفت (نشوى) وجهها فى كفيها ، وقالت :

ـ كفى يا (محمود) .. لست أعتقد أننى سأنسى هذه البشاعة ما حييت .

قال (رمزى) :

ـ المهم أن نحيا أولًا ، ثم نحاول النسيان فيما بعد .

وأشار إلى أزياء الفضاء ، مستطردًا :

ـ المهم الآن أن نرتدى جميعًا هذه الأزياء الفضائية ، ونحمل الأسطوانات الإضافية ، ثم نسير عبر الممر الخارجى لحجرة معادلة الضغط ، حتى نبلغ الصاروخ .

وأسرع يرتدى زيًا فضائيًا ، وكذلك فعل (محمود) ، وثبتت (نشوى) خوذتها فوق الزى الفضائى ، الذى ألبسها إياه (رمزى) ، قبل أن تستعيد وعيها ، وقالت عبر أجهزة الاتصال الخاصة داخل الخوذات :

ـ متى نذهب ؟

حمل (رمزى) أسطوانة أكسجين إضافية ، وناولها أخرى ، وهو يقول :

ـ الآن .. لن نضيع لحظة واحدة ، فلا أحد يعلم ما قد يقدم عليه ذلك العملاق الأخضر ، ولا لماذا جاء .. وما الذى يسعى إليه بالضبط ؟

التقط (محمود) أسطوانته الإضافية بدوره ، وقال :

ـ هيا بنا إذن .

وتقدّم إلى الباب الخلفى لحجرة معادلة الضغط ، الذى يقود إلى ممر طويل ، ينتهى عند مدخل الصاروخ الأرضى الوحيد بالمعسكر ، وهو يستطرد :

ـ فلنخفض الضغط أوّلًا .

ضغط (رمزى) الأزرار ، وانتظر الثلاثة وقلوبهم تخفق فى قوة ، حتى أعلنت الأجهزة تعادل الضغط ، ثم فتح (محمود) الباب ، و ...

وارتجفت أطرافهم فى هلع ..

فعلى بعد عشرة أمتار منهم ، وفى نهاية الممر ، أمام مدخل الصاروخ ، كان يقف ذلك العملاق الأخضر ، حاملًا سلاحه الرهيب ..

وعندما انفتح الباب الخلفى لحجرة معادلة الضغط ، التفت إليهم ذلك العملاق بهالته الصفراء المخيفة ، وأطلّت من عينيه نظرة وحشية مخيفة ، ثم رفع سلاحه نحوهم بحركة سريعة ..

وأطلق النار ..

* * *

انتفض قلب (سلوى) فى عنف ، عندما وجدت نفسها مع (نور) و (أكرم) ، داخل تلك المقبرة الرهيبة ، فى حين هتف (أكرم) فى عصبية :

ـ كيف فعل هذا ؟

أجابه (نور) فى توتر ، وهو يتحسّس الجدار القريب :

ـ إنها أبواب متحرّكة .. فكرة تكنولوجية بسيطة ، ولكنه يحسن استغلالها .

هتفت (سلوى) :

ـ لقد سجننا هنا .

قال (نور) :

ـ هناك حتمًا وسيلة للخروج من هنا .

أجاب (أكرم) فى عصبية :
ـ بالتأكيد .. وكل ما نحتاج إليه قليل من الديناميت .. أليس كذلك ؟
لوّح (نور) بكفه ، وقال :
ـ كلا بالطبع .. أنت تفكّر من منطلق أسلوبك الهمجى البدائى ، أما نحن ، فالعلم هو وسيلتنا الوحيدة .
ثم التفت إلى (سلوى) ، وقال :
ـ هل يعمل جهاز الفحص فى ساعتك ؟
غمغمت ، وهى تضغط زرّين دقيقين فى إطار الساعة :
ـ إننى لم أختبره منذ زمن طويل ، ولكنه سيعمل بإذن الله .
وألصقت سطح الساعة بالجدار ، وهى تراقب شاشتها الصغيرة ، التى تراصت فوقها عدة أرقام بسرعة مدهشة ، ثم توقّفت عند رقم ثلاثى ، فقالت (سلوى) :
ـ ها هو ذا .
سألها (أكرم) فى حيرة :
ـ ما هذا بالضبط ؟
أجابه (نور) :
ـ إنها الشفرة الإلكترونية الخاصة ، التى تستخدم لفتح الباب .

وضغطت (سلوى) زرًا ثالثًا فى ساعتها ، قائلة :
ـ أو هو رقم الذبذبة الصالحة لفتحه .
ومع ضغطتها ، انطلقت الذبذبة المطلوبة ..
ولكن الباب لم يرتفع ..
لقد حدث العكس تمامًا ..
لقد بدأ السقف ينخفض فى بطء ..
وفى عصبية ، هتف (أكرم) :
ـ ما الذى سيفعله بنا هذا الوغد بالضبط ؟..
وبقى سؤاله معلقًا بلا جواب ، والسقف ينخفض ..
وينخفض ..
وينخفض ..

★ ★ ★

« هل ستقتلهم ؟.. »
نطقت (مشيرة) سؤالها بصوت مرتجف ، وهى مقيّدة فوق مقعد واسع ، فى حجرة عجيبة ، شبه خالية ، إلا منها ومن (شاين) ، وجهاز غريب الشكل ، لم يكتمل بعد ، وشاشة رصد ، تنقل ما يحدث لـ (نور) و (أكرم) و (سلوى) ، فأجابها الساحر فى هدوء :
ـ لم أكن أتمنى أبدًا أن أفعل .. هم أجبرونى على هذا .
قالت فى حنق :
ـ إنها حجة كل سفاح حقير .

رمقها بنظرة خاوية لامبالية ، وقال :

ـ أنت المسئولة عن كل هذا .

هتفت :

ـ أنا ؟!

أجاب فى برود عجيب :

ـ بالتأكيد .. الفضول السخيف ، الذى دفعك إلى التسلل لحجرتى ، وهو الذى تسبب فى كل ما أصاب الأمور من ارتباك .. لقد كشفت سرًا أحرص على إخفائه ، ثم لم تكتفى بهذا ، وإنما أطلقت صرخة قوية ، نبهت الجميع إلى حدوث أمر غير عادى ، فجذبت أصدقاءك إلىّ ، وأصبحت مسألة حياة أو موت .

قالت فى عصبية :

ـ كان يمكنك أن تشرح لهم الأمر ، لو أن ما لديك لايخالف القانون .

ابتسم فى سخرية ، وقال :

ـ قول طريف ، ولكنه يتسم بالكثير من الغباء للأسف .. هل تريديننى أن أواجه الرائد (نور الدين محمود) بحقيقة الموقف ؟!.. كلا يا عزيزتى .. إنك لاتدركين ما يعنيه كشف حقيقتى .. إنه قد يعنى مصرعى بين لحظة وأخرى .

غلبها فضولها الصحفى ، وهى تسأله :

ـ أما تخفيه بالغ الخطورة إلى هذا الحد ؟

صمت طويلًا متطلعًا إليها ، ثم قال :

ـ ليس هذا من شأنك .

وعاد يلتفت إلى شاشة الرصد ، مضيفًا :

ـ دعينا نتابع ما سيفعله رفاقك ، عندما يعتصرهم السقف اعتصارًا ، ويسحقهم على أرضية الحجرة .

قالت فى حدة :

ـ وتقول : إنك لست سفاحًا .

قال فى برود :

ـ فضولك فعل كل هذا .. لقد كنت ساحرًا معروفًا ، أقدم واحدًا من أفضل العروض فى المدينة ، وأعمل فى سرّية وهدوء ، حتى دسست أنفك فى الأمر .

وزفر فى توتر ، وهو يتابع الشاشة ، مستطردًا :

ـ صدقينى .. أنا مضطر لكل ما أفعله .

وواصل مراقبته للشاشة ، التى تنقل مشهد (نور) و (سلوى) و (أكرم) ، والسقف يواصل هبوطه نحوهم ، لتحقيق هدف واحد ..

سحقهم سحقًا ..

* * *

وزفر في توتر ، وهو يتابع الشاشة ، مستطردًا :

ـ صدقني .. أنا مضطر لكل ما أفعله ..

توترت أعصاب (أكرم) في شدة ، وهو يضطر للانحناء ، مع انخفاض السقف المستمر ، وهتف في عصبية :

ـ هذه النهاية تبدو لي سخيفة .. هذا السقف سيسحقنا كما لو كنا مجرَّد حشرات تافهة وضيعة .

ولكن (نور) سيطر على أعصابه ، وهو يساعد (سلوى) على الرقود أرضًا ، في محاولة لتفادي هذا الانخفاض ، ويقول لها بكلمات سريعة :

ـ لقد أخطأنا تحديد الشفرة .. هناك شفرة عكسية بالتأكيد ، تنهي هذا الموقف .

ارتجفت في شدة ، وهي تضغط أزرار ساعتها الدقيقة ، مغمغمة :

ـ إنني أبذل قصارى جهدي .

ألصقت ساعتها بالجدار ، وراحت تبحث مرة أخرى عن شفرة سرية جديدة ، في حين واصل السقف انخفاضه ، و (أكرم) يقول :

ـ لو نجونا من هذا المأزق ، سأحطِّم عنق ذلك الساحر الوغد .

تمتمت (سلوى) في ارتياع ، وعيناها تراقبان الأرقام ، التي تتراص على ساعتها بسرعة :

- لو ... من الواضح أن هذا الساحر يستخدم شفرة معقّدة ، من سبعة أو ثمانية أرقام ، وهى تحتاج إلى وقت طويل للتوصّل إليها .

قال (أكرم) فى حنق :

- حاولى إقناع السقف بهذا .

أما (نور) ، فقد شعر بالعجز والمرارة ، وهو يقلّب الحلول كلها فى ذهنه ، فلا يجد مخرجًا منطقيًا من هذا المأزق ..

وفى هذه اللحظة ، قفزت إلى ذهنه صورة ابنته ..

صورة (نشوى) ..

لم يدر لماذا شعر بالقلق من أجلها ، وهو يراقب انخفاض السقف المستمر ؟!

ولا لماذا شعر أنها فى مأزق آخر ؟..

أهو شعور فائق للطبيعة ، توصّل إليه عقله ، فى لحظات الخطر ؟!..

أم هو مجرّد وهم ..

وهم خلقه خوفه من تلك الميتة البشعة ، التى يترقّبها بين لحظة وأخرى ..

وكانت زوجته (سلوى) تشاركه هذا الشعور ، وقلبها يرتجف ارتجافه مزدوجة ، نصفها من أجل هذا الموقف العصيب ، والنصف الآخر من أجل ابنتها ..

هى أيضًا كانت تشعر بخوف مبهم من أجلها ..

خوف لم تكن تدرى كنهه بالضبط ..

ولكنه يملأ كيانها ..

وعلى قيد خطوات منها ، كان (أكرم) يحدّق فى السقف فى شرود ..

إنه سيلقى حتفه أسفله ..

لم يعد لديه شك فى هذا ..

ولكنه يشعر بالخوف من أجل (مشيرة) ..

لم يكن يدرى ما أصابها ..

وكان قلبه يرتجف من أجلها ، حيّة كانت أو ميّتة ..

ومع انخفاض السقف ، اضطر الثلاثة إلى الرقاد على ظهورهم أرضًا ، وقالت (سلوى) فى يأس :

- لا فائدة .. الشفرة تتجاوز الأرقام الثمانية .

كان قولها هذا إعلانًا للفشل ، مما خنق مشاعر الثلاثة فى قلوبهم ، وهم يحدقون فى السقف ، الذى أصبح على ارتفاع عشرة سنتيمترات فحسب منهم ، وراح يواصل انخفاضه ، حاملًا آخر شىء يرغب فيه أى بشرى ..

الموت .

* * *

٥ ـ ضائعون فى الفضاء ..

شعرت (نشوى) برعب هائل ، يملأ كيانها كله ، عندما استدار العملاق الأخضر إليهم ، وأطلق سلاحه ..

وانطلقت من حلقها صرخة مدوية ..

ومع صرختها ، شعرت بيد قوية تجذبها جانبًا ، ورأت (محمود) يدفع (رمزى) بعيدًا عن مسار السلاح ، هاتفًا :

ـ إنه سيضيفنا إلى قائمة ضحاياه .

سقط الثلاثة أرضًا ، ومن خلفهم انفجر جدار حجرة معادلة الضغط بدون صوت ، وتناثرت شظاياه فى كل مكان ، وارتطم بعضها بهم ، فصرخت (نشوى) :

ـ هذا مؤلم للغاية .

جذبها (محمود) فى قوة ، وهو يهتف :

ـ المهم أننا على قيد الحياة .

انطلقوا يعدون ، عبر الباب المحطَّم ، والعملاق يطلق سلاحه مرة أخرى خلفهم ..

وانهار جدار الممر مع الطلقة الثانية ، فوثب (محمود) جانبًا ، وهو يجذب (نشوى) ، و (رمزى) يتبعهما صائحًا :

ـ لقد كشف وجودنا على قيد الحياة ، وسيسعى خلفنا .

كان العملاق يتحرَّك بالفعل نحو الحجرة التى نسف جدارها ، وتوقَّف لحظة يراقبهم ، وهم يجرون مبتعدين ، أو يتقافزون بمعنى أدق ، مع جاذبية القمر المنخفضة ، ثم صوَّب سلاحه إلى (رمزى) ، وظلّ ثابتًا لحظة ، ثم أعاد سلاحه إلى غمده ، واستدار عائدًا إلى الصاروخ الأرضى الوحيد ، على سطح القمر كله ..

أما (رمزى) و (محمود) و (نشوى) ، فقد بلغوا ساحة المعسكر ، وهتفت (نشوى) فى ارتياع :

ـ ربَّاه !.. إنها مذبحة كاملة .

كانت الأجساد الممزَّقة ، والأشلاء البشرية تملأ المكان ، مع دماء غزيرة ، تنتشر هنا وهناك ، وتمتزج بأجزاء ضخمة من القبَّة المحطَّمة ، التى تساقطت لتغمر الساحة كلها ..

وفى عصبية ، غمغم (رمزى) :

ـ لو أننا لم نعثر على وسيلة للفرار ، من ذلك السفاح الأخضر ، فلن يختلف مصيرنا كثيرًا عنهم .

سألته (نشوى) فى رعب :

ـ وأين يمكننا أن نذهب ؟!

قال (محمود) فى توتر :

ـ لايوجد مكان واحد هنا ، يمكن الاختباء فيه .

ثم أدار عينيه إلى قاعدة الإطلاق ، مستطردًا :

ـ اللهم إلا إذا ..

هتفت به (نشوى) :

ـ إلا إذا ماذا ؟

قال (رمزى) ، وكأنما قرأ أفكاره :

ـ إلا إذا أمكننا الدوران حول المعسكر ، والعودة إلى الصاروخ ، فى غفلة من هذا العملاق الأخضر .

سألته (نشوى) فى لهفة :

ـ وهل يمكننا هذا ؟

أجابها (محمود) :

ـ يمكننا أن نحاول .. سنجتاز منطقة التدريبات ، وندور حول الملاعب ، ثم نتسلل عبر ممر الشحن إلى الصاروخ .

تنهدت قائلة :

ـ ليت الأمر يتم بهذه السهولة .

قال (رمزى) فى حزم :

ـ لاضير من المحاولة .

وبدأوا محاولتهم ..

وفى الوقت نفسه ، كان العملاق الأخضر قد استقر داخل حجرة القيادة بالصاروخ ، وجلس أمام شاشة الملاحة الفضائية ، وراح يراجع الخرائط فى اهتمام بالغ ..

كانت الخرائط تصف المجموعة الشمسية ، وموقع الأرض منها ، وسرعة دورانها ، وعلاقتها بمدارات الكواكب الأخرى ، وبالقمر ..

واستوعب العملاق هذه المعلومات فى سرعة كبيرة .. وباهتمام بالغ ..

وفى أثناء دراساته ، اجتاز (محمود) و (رمزى) و (نشوى) منطقة التدريبات ، وغمغم (محمود) ، وهم يدورون حول الملاعب :

ـ عندما نصل إلى ممر الشحن ، سنتوقف تمامًا عن تبادل الأحاديث ، فمن هذه النقطة يستطيع العملاق التقاط أحاديثنا بسهولة .

سألته (نشوى) :

ـ ولكنه يحتل الصاروخ بالفعل .

أجابها (رمزى) :

ـ سنبحث عن وسيلة لدفعه إلى الخروج منه ، ثم نحتله نحن ، ونفرّ من هنا .

سألته فى توتر :

ـ وسيلة مثل ماذا ؟!

تبادل (رمزى) نظرة مع (محمود) ، وقال :

ـ أعتقد أنه ينبغى أن نبدأ فى بحث هذه النقطة الآن .

اعتدل (محمود) ، قائلاً :

ـ وبأقصى سرعة .. فما لدينا من أكسجين(*) يكفى لنصف الساعة فحسب ، والأسطوانات الإضافية تمنحنا ساعة أخرى ، وبعدها ينتهى آخر أمل لنا ، فى البقاء على قيد الحياة ، ما لم تنجح فى السيطرة على الصاروخ ، والفرار من هنا .

بلغوا فى هذه اللحظة ممر الشحن ، فأشار إليهم (رمزى) بالصمت ، وتسلّل ثلاثتهم عبر الممر الواسع الطويل ، حتى بلغوا منتصفه ، وهنا واجهتهم سحب دخانية كثيفة ، فخفق قلب (نشوى) فى قلق ، وهى تتطلّع

(*) الأكسجين : عنصر غازى ، كشفه (بريستلى) عام ١٧٧٤م ، وهو عديم اللون والرائحة وبدونه لا يحيا أى كائن حى على وجه الأرض ، وعدده الذرى (٨) ، وهو لا يشتعل ، ولكنه يساعد على الاشتعال .

إلى (محمود) و (رمزى) فى تساؤل ، ثم أسرع الثلاثة الخطا ، وسط الدخان ، حتى بلغوا نهاية الممر ، فاتسعت عيونهم فى ذعر ، وأطلقت (نشوى) شهقة عنيفة ، وهى تتطلّع مع (رمزى) و (محمود) إلى أعلى ..

فأمام عيونهم ، على مسافة كيلو متر تقريبًا فوق سطح القمر ، كان الصاروخ الأرضى ينطلق عائدًا إلى الأرض ، وعلى متنه ذلك العملاق الأخضر ..

وكان هذا يعنى أنهم قد فقدوا آخر أمل فى العودة ، ولم يعدْ أمامهم سوى ساعة ونصف الساعة تقريبًا من نفاد الأكسجين ، وبعدها لا مفرّ من المصير المحتوم ..

الموت اختناقًا ..

* * *

وقف مفتش شرطة المنطقة يتطلّع فى دهشة ، إلى تلك الفجوة الواسعة ، فى حجرة الساحر (شاين) ، ويستمع إلى مدير المسرح ، وهو يقول بصوت لم يزايله الذهول بعد :

ـ هذا ما حدث بالضبط .. أقسم على هذا .. لقد رأيت ثلاثة أشخاص يقفزون داخلها .

تردّد المفتش لحظة ، ثم التفت إلى أحد رجاله ، قائلاً :

ـ أعطنى مصباحًا يدويًا .

ناوله الشرطى مصباحه ، فوثب بدوره داخل النفق ، وانزلق عبر الأمتار المنحدرة ، حتى بلغ الجزء المتسع ، وأضاء مصباحه داخله ، ودار به فى المكان ، قبل أن يغمغم :

- كما توقعت تمامًا .. مجرّد نفق صرف قديم .

ولم يكن ما يراه هو نفسه ما رآه (نور) و (أكرم) و (سلوى) ، عندما هبطوا إلى هذا المكان ..

كان أمامه مشهد مختلف تمامًا ..

مجرّد جدران صخرية ، تآكلت بفعل الرطوبة ، وتنتهى بجدار من حجر صلد ، يحوى بقعًا واسعة متسخة ..

وفى حزم ، اتجه المفتش إلى الجدار الصلد ، ودقّ عليه بقبضته عدة مرات ، قبل أن يقول فى ارتياح :

- صاحب المسرح هذا أغبى شخص رأيته فى حياتى كلها .

وعاد أدراجه ، متسلقًا الجزء المنحنى ، وبرز داخل الحجرة ، فهتف به المدير :

- هل عثرت عليهم ؟

قفز المفتش داخل الحجرة ، ونفض الغبار والأتربة عن حلته ، وهو يقول فى صرامة :

- اسمع يا هذا .. لو أنك تنشد شيئًا من الدعاية لمسرحك ، فليس هذا هو الأسلوب المناسب .

حدق الرجل فيه ذاهلا ، وهو يقول :

- دعاية لمسرحى ؟!.. ماذا تقول يا سيادة المفتش ؟.. أقسم لك إننى رأيت رجلين وامرأة ، يقفزون داخل هذا النفق ، ولم أغادر الحجرة منذ تلك اللحظة ، وحتى الآن .

صاح المفتش فى وجهه بغضب :

- ما قولك إذن فى أن المكان خال تمامًا .. مجرّد بئر عتيقة ، ذات جدران رطبة متآكلة ، ولا يوجد أدنى أثر لرجال أو نساء ، أو أية مخلوقات حية أخرى ، لو استثنينا الفئران .

دارت عينا مدير المسرح فى محجريهما ، وهو يقول :

- ولكننى رأيتهم بنفسى .

أجابه المفتش فى صرامة :

- وأنا أوجّه إليك تهمة البلاغ الكاذب وإزعاج السلطات ، وهذا يعنى إلقاء القبض عليك ، وإغلاق مسرحك رسميًا ، لمدة أسبوعين .

صرخ الرجل :

- ماذا ؟!.. ولكننى لست كاذبًا .

أشار المفتش إلى رجاله ، قائلًا فى صرامة :

ـ خذوه .

جذب رجال الشرطة مدير المسرح فى حزم ، وهو يصرخ

ـ لا .. أقسم لكم إنها الحقيقة .. أقسم لكم .

مطّ المفتش شفتيه فى ازدراء ، وتركهم يحملونه بعيدًا ، وهو يصلح وضع رباط عنقه ، مغمغمًا :

ـ نفق سحرى ، ورجلان وامرأة يختفون داخله .. إننى لم أسمع فى حياتى مثل هذا الهراء ، ولا الـ ...

بتر عبارته بغتة ، وارتفع حاجباه فى شدة ، مع اتساع عينيه ، عندما ارتفع من أعماق النفق فجأة صوت مكتوم ، مع صرير مزعج ..

وكان هذا المزيج أشبه بصوت أبواب قديمة تُفتح على مصراعيها ..

أبواب فى قلب الجحيم ..

* * *

لم يكن هناك مفرّ من الموت ..

كان السقف يواصل انخفاضه ، وساعة (سلوى) تعمل بأقصى سرعتها ، دون أن تنجح فى التوصّل إلى الشفرة الصحيحة ..

ولامس السقف أجساد الثلاثة بالفعل ، وهم يرقدون على ظهورهم أرضًا ، وقال (أكرم) فى مرارة وحنق :

ـ فليكن .. الوداع يا صديقىّ .. فلنستقبل معًا هذه الميتة البشعة فى استسلام .

ولكن (نور) قال فى انفعال :

ـ واصلى المحاولة يا (سلوى) .. لا تتوقفى .

قالت فى يأس ومرارة ، والدموع تنهمر على وجهها غزيرة :

ـ إلى متى ؟

هتف :

ـ حتى آخر رمق .. دعينا لا نستسلم أبدًا .

قالت وهى تميل برأسها ، متفادية هبوط السقف المستمر :

ـ لا فائدة يا (نور) .. هذه الشفرة مكوّنة من اثنى عشر رقمًا على الأقل ، ولم يعد هناك وقت للتوصّل إليها .

ثم بكت فى مرارة ، مستطردة :

ـ الوداع يا (نور) .. لقد أحببتك دائمًا .

أجابها فى ألم ، وهو يشعر بثقل السقف على جسده :

ـ الوداع يا (سلوى) .. فلندع الله (سبحانه وتعالى) أن يحفظ ابنتنا بعد ذهابنا ، و ...

قاطعه فجأة أزيز خافت ، جعل قلب (سلوى) ينتفض بين ضلوعها ، وهى تهتف :

ـ الشفرة .. لقد توصلنا إلى الشفرة يا (نور) .

هتف (أكرم) فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

وصاح (نور) :

ـ اضغطى زر التشغيل يا (سلوى) .. أوقفى آلة السحق هذه .

ارتجف صوتها فى ارتياع ، وهى تقول :

ـ ولكن .. ولكننى عاجزة عن لمس ساعتى .

كان السقف يضغط أجسادهم بالفعل ، ولم يكن هناك وقت يمكن إضاعته ، فجاهد (نور) ليدفع يده جانبًا ، حتى لامست ساعة (سلوى) ..

وضغط الزر المنشود ..

وفى اللحظة الأخيرة بالفعل ، توقف انخفاض السقف ..

توقف قبل ثوان معدودة ، من سحقه لأجسادهم ..

وفى سعادة جمة ، هتف (أكرم) :

ـ لقد نجونا .

قال (نور) :

ـ ليس بعد أيها العبقرى .. إننا لن نستطيع حتى الزحف ، وهذا الثقل الهائل يجثم على صدورنا .

عقد (أكرم) حاجبيه ، قائلاً فى سخط :

ـ هذا صحيح .. ما فائدة إيقاف السقف إذن ؟. أن نلقى مصرعنا جوعًا ، بدلاً من الموت سحقًا ؟!

قالت (سلوى) :

ـ لن يصل الأمر إلى هذا الحد .. حاول أن تضغط الزرين المتجاورين ، فى الجانب الأيمن من إطار الساعة يا (نور) .

ضغطهما (نور) فى صعوبة ، فارتفع صرير هائل مزعج ، مع صوت مكتوم ، ثم بدأ السقف يرتفع بنفس البطء ..

وهتف (أكرم) :

ـ أخيرًا .

وبدأ يشعر بأنفاسه تتردد فى صدره بارتياح ، وهو يتابع السقف ، الذى واصل ارتفاعه ، حتى أمكنهم الجلوس ، فتابع فى غضب :

ـ بعدما فعله بنا ذلك الساحر الحقير ، أعتقد أننى لن أكتفى بتحطيم عنقه ، عندما أضع يدى عليه .. ما رأيكما بتمزيقه إربًا أولاً ، ثم فقء عينيه ، و ...

وبدأ يشعر بأنفاسه تتردد في صدره بارتياح ، وهو يتابع السقف ، الذى واصل ارتفاعه ، حتى أمكنهم الجلوس ..

قاطعته (سلوى) فى توتر :

ـ كفَّ عن هذا القولَ البشع .

واتجهت إلى الجدار المقابل ، مستطردة :

ـ أعتقد أننى فهمت لعبة هذا الرجل .. إنه يضع رقمين شفريين .. أحدهما خداعى ، والآخر حقيقى .. ويمكننى البدء مباشرة بشفرة ذات عشرة أرقام .

ألصقت ساعتها مرة ثانية بالجدار ، وضغطت أزرارها ، وتركتها تعمل فى سرعة ، حتى صدر عنها ذلك الأزيز الخافت ، فهتفت (سلوى) :

ـ لقد نجحت .

وبضغطة زر أخرى ، ارتفع ذلك الجدار ، قبل حتى أن يكتمل ارتفاع السقف ، وظهر أمامهم ذلك الممرّ الصناعى ثانية ، فأسرعا يغادران ذلك القبر المخيف ، الذى كاد يلتهمهما منذ لحظات ، و (نور) يقول فى ارتياح :

ـ الآن يمكننى القول إننا قد نجونا .

وما أعظم أن تتحوّل لحظات اليأس والمرارة إلى نشوة ظفر وانتصار ..

لقد ملأ هذا التحوّل نفوسهم بالحماس ، فاندفعوا عبر الممر فى خطوات سريعة ، و (أكرم) يقول :

ـ أراهن أننا سنعثر على ذلك الوغد ، فى نهاية الممر .

قال (نور) :

ـ لاتجزم بهذا .. من المحتمل أنه يختفى فى مكان آخر ، يصله بالنفق باب سرى ، عجزنا عن ملاحظته .

هتف (أكرم) :

ـ فليختف فى الجحيم نفسه ، وسأنتزعه منه انتزاعًا ، ليدفع ثمن كل ما فعله بنا .

قالت (سلوى) لاهثة :

ـ المهم أن تنجح فى إنقاذ (مشيرة) ، وتخليصها من بين يديه .

هبط قولها هذا كالقنبلة ، وسط هذا الموقف المتوتر ..

وسأل (أكـرم) نفسه فى ارتيـاع : هل سيجـد (مشيرة) ؟..

أو بمعنى أدق : هل سيجدها على قيد الحياة ؟!..

سرت ارتجافه فى عروقه ، وهـو يتخيَّل العكس ، فنفض الفكرة عن ذهنه فى سرعة ، وهو يهزّ رأسه فى قوة ، ويقول فى حزم :

ـ سننقذها بإذن الله .

وفجأة ، توقَّف (نور) ، قائلًا :

ـ انصتا .

توقـف (أكرم) و (سلوى) بدوريهمـا ، وأرهفـا سمعيهما ، وميَّزا فى وضوح صوتًا أشبه بهدير منتظم ، يقترب منهم تدريجيًا ، فغمغمت (سلوى) فى قلق :

ـ ما هذا بالضبط ؟

أجابها (نور) ، وهو يشاركها قلقها :

ـ لست أدرى .. هناك شىء ما يتجه إلينا .

وفجأة ، هتف (أكرم) :

ـ يا إلهى !.. انظرا .

واتسعت عيون ثلاثتهم فى دهشة وذعر ..

فأمامهم ، عند نهاية الممر ، كان هناك قطيع هائل ، يتجه نحوهم بالآلاف ..

قطيع يثير فى النفس شعورًا مزدوجًا ، بالاشمئزاز والذعر ..

قطيع من الفئران .

★ ★ ★

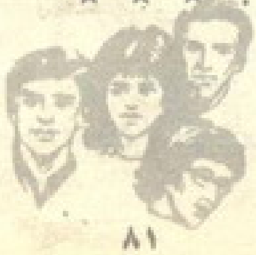

٦ ـ الانهيار ..

شعرت (نشوى) بغصة فى حلقها ، وهى تتابع الصاروخ ببصرها ، مع ابتعاده فى الفضاء ، وهو يتجه إلى كوكب الأرض ، وانتابتها رغبة عارمة فى البكاء ، وهى تقول :

ـ لقد ذهب .

استقبل (محمود) و (رمزى) كلمتها فى وجوم ، وهما يتابعان الصاروخ بدوريهما ..

وكان الموقف أكثر وضوحًا من أن يدلى أحدهما بأى تعليق ..

لقد رحل العملاق عن القمر ، بالصاروخ الوحيد المتاح ..

وتركهم خلفه ..

وهم الآن وحدهم ، على سطح القمر ، مع كمية من الأكسجين تكفى لساعة وبضع دقائق على الأكثر ..

وبعدها ينتهى كل شىء ..

ينتهى الأكسجين ..

وينتهى الأمل فى الحياة ..

الأمل الأخير ..

ولدقيقة كاملة ، لم ينبس أحدهم ببنت شفة ، واليأس يتكوّن فى أعماقهم ، ويتعاظم مع كل ثانية تمر ..

ثم قطعت (نشوى) حبل الصمت ..

قطعته وهى تقول فى صوت أقرب إلى البكاء :

ـ أيعنى هذا أننا قد انتهينا ؟

ثم تحوّلت فجأة إلى البكاء الفعلى ..

وفى انهيار كامل ..

وتطلّع إليها (محمود) و (رمزى) فى صمت ، دون أن يجد أحدهما ما يقوله ، أو يجرؤ حتى على مواساتها ..

الموقف كان أبشع من أن يحاولا ، وفكرة الموت القادم لامحالة ، بعد نفاد الأكسجين ، تكفى لينهار أشجع الرجال ..

فما بالك بفتاة رقيقة مثل (نشوى) ؟!..

وفجأة ، اعتدل (محمود) ، وهتف فى لهفة :

ـ كبسولة التدريب .

لم يضف شيئًا من التفاصيل ، ولكن (رمزى) و (نشوى) التفتا إليه فى سرعة ، وقال الأوّل فى انفعال :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟

أجابه (محمود) فى سرعة :

ـ لقد رأيناها جميعًا .. تلك الكبسولة التى كان يستخدمها رواد الفضاء ، للتدريب على مراحل الإطلاق .. هذه الكبسولة صالحة للانطلاق فى الفضاء .

غمغمت (نشوى) فى توتر شديد :

ـ وماذا بعد ؟

انتابه الحماس ، وهو يلوّح بكفيه ، قائلًا :

ـ لو أننا وجدنا الوقود الكافى ، فيمكننا أن نستقل الكبسولة ، وننطلق بها من هنا ، وباستخدام كمبيوتر القيادة ، نستطيع توجيهها إلى الأرض .

سأله (رمزى):

ـ وماذا عن الأكسجين ؟

أجاب (محمود) :

ـ كبسولة التدريبات تحوى كمية من الأكسجين ، تكفى أربعة رواد لثلاث ساعات كاملة ، وهذا يعنى أنها ستكفى ثلاثتنا لساعتين ونصف الساعة تقريبًا ، ولدينا ما يوازى ساعة كاملة من الأكسجين فى أسطواناتنا ، وهذا يعنى ثلاث ساعات ونصف الساعة .

قالت (نشوى) فى توتر :

ـ ولكن الرحلة من القمر إلى الأرض ، تحتاج إلى أربع ساعات فى المتوسط ، باستخدام الوقود الحديث .

صمت (محمود) لحظات ، ثم قال فى حزم :

ـ هذا يعنى أنه علينا أن نجد وسيلة مناسبة ، لتعويض نصف الساعة الباقية .

سأله (رمزى) فى عصبية :

ـ وكيف نفعل هذا ؟.. هل نمتنع عن التنفس بعض الوقت ؟

تنهد (محمود) ، وهو يجيب :

ـ سنجد الحل فى حينه ، ولكن هذا أفضل من أن نجلس هنا ، فى انتظار الموت المؤكد .

عاد الصمت يخيّم عليهم ، ثم قالت (نشوى) :

ـ دعونا لا نضيع المزيد من الوقت إذن .

وكان قولها هو فصل الختام ، إذ بدأ ثلاثتهم تحرّكهم نحو قاعة التدريبات ..

ولم تمض دقائق معدودة ، حتى كانوا داخل كبسولة التدريبات ، يفحصونها فى اهتمام ، وقالت (نشوى) فى أمل :

- الكمبيوتر يعمل بكفاءة ، ويشير إلى أن كل الأجهزة والمعدّات سليمة ، ويمكننا أن نرحل على الفور .

سألها (رمزى) :

- وماذا عن الوقود ؟

أجابته فى شىء من القلق :

- إنه يكفى لأربع ساعات بالضبط ، من التحليق العادى ، ولكننا سنستنفد جزءًا منه فى عملية الإطلاق بالطبع .

قال (محمود) :

- لا تقلقى كثيرًا بهذا الشأن .. سننطلق بالكبسولة فى اتجاه الأرض مباشرة ، وعندما ينفد الوقود ، سيقودنا القصور الذاتى إليها(*) ، ثم تتكفّل جاذبيتها بالباقى(**) .

التقط (رمزى) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

- فلننطلق إذن ، على بركة الله .

(*) القصور الذاتى : الخاصية التى تحاول المحافظة على الجسم الساكن فى حالة سكون ، أو جعل الجسم المتحرّك يتحرّك فى خط مستقيم ، ما لم تتدخل فى حركته أو سكونه عوامل أخرى ، ولقد اشتقت الخاصية من قانون (نيوتن) الأوّل للحركة .

(**) الجاذبية الأرضية : أو (عجلة الجاذبية الأرضية) وهى القوة التى تجذب كل الأجسام فى اتجاه مركز الأرض ، وتساوى ٩٨١سم فى الثانية .

اتخذ الثلاثة مقاعدهم ، داخل كبسولة التدريبات ، وضغط (محمود) الأزرار التى تبدأ عملية الإطلاق ، وشعر بارتجاجة الكبسولة ، فقال فى حزم :

- استعدا .. سننطلق على الفور .

وضغط زر الإطلاق ..

ولكن الكبسولة لم تنطلق ..

لقد بقيت مستقرة داخل ساحة التدريبات ، على الرغم من ارتجاجها ..

وهوت قلوب الثلاثة بين أقدامهم ، و ...

وضاع الأمل ..

★ ★ ★

كان المشهد بشعًا بحق ..

آلاف الفئران تجرى فى قطعان هائلة ، نحو (نور) و (أكرم) و (سلوى) ..

وصرخت (سلوى) فى رعب ، فى حين هتف (أكرم) :

- يا للبشاعة !

أما (نور) ، فقد جذب زوجته هاتفًا :

- أسرعوا .. قبل أن تلحق بنا الفئران .

اتخذ الثلاثة مقاعدهم ، داخل كبسولة التدريبات ، وضغط (محمود) الأزرار التى تبدأ عملية الإطلاق ، وشعر بارتجاجة الكبسولة ..

استداروا جميعًا ، وانطلقوا يعدون بكل قوتهم ، ولكن الفئران كانت أخف وزنًا ، وأكثر سرعة ، فلحقت بهم فى لحظات ، وصرخت (سلوى) مرة أخرى ، عندما شعرت بها بين قدميها ، وراحت تقفز فى ارتياع ، ولكن (نور) انتبه إلى ما يحدث ، فقال فى توتر :

ـ عجبًا !.. إنها لاتسعى إلينا .

كان عدد ضخم من الفئران قد تجاوزهم بالفعل ، بحيث أصبحوا يجرون وسط الآلاف من تلك القوارض الصغيرة ، التى بدت وكأنها تشاركهم هجومهم ، ولا تهاجمهم ..

ثم فجأة ، أدرك (نور) حقيقة الموقف ..

أدركه مع ذلك الهدير ، الذى تصاعد تدريجيًا ، مسببًا المزيد من الذعر للفئران ، والمزيد من التوتر والهلع له ولزوجته (سلوى) و (أكرم) ..

وبعد لحظة واحدة ، تدفقت المياه داخل النفق ..

وبدا الأمر واضحًا ..

كانت الفئران تفرّ من هذه الميتة البشعة ، التى اختارها (شاين) لـ (نور) ورفيقيه ..

وتصاعدت المياه فى سرعة ، وصاح (أكرم) :

ـ هذا الوغد يسعى لاغراقنا جميعًا .

قالت (سلوى) :

ـ لأول مرة في حياتي أشعر بتعاطف مع الفئران .

هتف (أكرم) في حنق :

ـ هذا أمر طبيعي .. إننا سنشاركها مصيرها .

كانت الفئران مذعورة بشدة ، وهي تسبح في المياه ، التي بلغت أعلى سيقان (نور) و (سلوى) و (أكرم) ، وهم يواصلون خوضهم فيها ، للوصول إلى المخرج ..

ولكن لم يكن هناك مخرج لذلك النفق ..

وعند الجدار الأخير ، توقف (نور) ، هاتفًا :

ـ لابد وأن نحاول فتح ذلك الجدار .

رفعت (سلوى) يدها ، وهي تقول :

ـ سأبدأ بشفرة من سبعة أرقام ، و ...

وشهقت في قوة ، قبل أن تتم عبارتها ، فسألها (نور) في قلق :

ـ ماذا حدث ؟

وأدرك سر شهقتها ، وهو يتطلع إلى معصمها ، قبل أن تهتف هي في يأس ومرارة :

ـ لقد فقدت ساعتي .

هتف (أكرم) في عصبية :

ـ ماذا ؟.. وكيف حدث هذا ؟

قالت في يأس شديد :

ـ لست أدري .. ربما ارتطمت بالجدار في أثناء عدونا ، أو ...

لم تستطع إتمام عبارتها ، مع تلك الغصة التي اختنق بها حلقها ، فلاذت بالصمت ، في حين قال (نور) في توتر :

ـ لابد من وجود وسيلة أخرى .

قالها وراح يفحص الجدار في سرعة يائسة ، في حين لاذ (أكرم) و (سلوى) بالصمت ، ولم يلبث (نور) أن شاركهما صمتهما ، والمياه ترتفع لتبلغ أسفل صدورهم .

وكان المشهد كله رهيبًا ومخيفًا ..

الماء يرتفع في سرعة ..

ومئات الفئران تصرخ في فزع ، وهي تقاوم الغرق ..

والضوء يخفت رويدًا ..

واليأس يملأ القلوب ..

والصورة كلها تصلح كمشهد ختامي لنصف الفريق .. فريق (نور) ..

★ ★ ★

ظلت ملامح (شاين) جامدة باردة ، وهو يراقب هذا المشهد الرهيب ، على شاشة راصده الخاص ، فهتفت (مشيرة) في انهيار :

- أيها القاتل الوغد .. إنك تتلذذ بتعذيبهم قبل قتلهم .

ألقى عليها نظرة خاوية ، ثم أغلق شاشة الراصد ، واتجه إليها ، قائلًا :

- لم يعد هناك مبرِّر لبقائنا هنا .

سألته فى عصبية :

- وأين سنذهب ؟.. إلى الجحيم ؟!

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

- بل إلى منزلى .

قالت فى دهشة :

- منزلك ؟!

أجابها وهو يرفع عصاه ، ويصوِّبها إليها :

- بالطبع يا سيِّدتى .. أنا هنا مواطن محترم .

وأدار العصا فى مواجهتها ..

وانتفض جسدها كله فى عنف ..

لقد شعرت بكل خلية من خلاياها تتفكك ، وتنهار ، ثم تنطلق عبر نفق مظلم طويل ، بسرعة جعلتها تصرخ :

- ماذا فعلت بى ؟!

كانت واثقة من أنها قد أطلقت صرخة مدوية ، ولكنها لم تسمع شيئًا ..

بل ولم تشعر بوجود لسانها وفمها ، وكأنهما قد اختفيا أو تلاشيا ..

ثم هوت فجأة فى أعماق ذلك النفق ، وانقضت عليها خلاياها ، تتجمَّع وتتلاقى ؛ كما لو أنها كانت هاربة ، ثم عادت إليها صاغرة ..

واستعادت عيناها القدرة على الابصار دفعة واحدة ..

ثم صرخت فى ذهول ..

لقد وجدت نفسها داخل قفص زجاجى كبير ، فى ركن قبو واسع نظيف ، وأمامها يقف (شاين) مبتسمًا ، وهو يقول :

- هل أرهقتك الرحلة ؟

هتفت به :

- كيف فعلت هذا ؟..

لوَّح بعصاه فى الهواء ، قائلًا :

- أنسيت أننى ساحر ؟

ثم أشار إلى القفص ، مستطردًا :

- وأنت أسيرتى الجميلة ، التى أحتفظ بها داخل قفص زجاجى ، حتى تستقر الأمور ، وأتخذ قرارى النهائى بشأنها .

قالت فى حدة :

- أيعنى هذا أننى رهينة ؟

هزَّ كتفيه ، قائلًا :

ـ لو أن هذا ما يعنيه الموقف .

التقى حاجباها ، وهى تسأله فى توتر :

ـ أنت لست واحدًا منا .. من أنت بالضبط ؟

ضحك قائلًا :

ـ لا يا سيدتى .. ليس من حقك مزاولة عملك الصحفى هنا .. يكفيك كل ما جلبه فضولك .

ثم جذب جهاز (هولوفيزيون) قريبًا ، وهو يستطرد :

ـ سأمنحك وسيلة أخرى للتسلية .. وسيلة تتعلق أيضًا بعملك .

وفرقع إصبعيه فى الهواء ، فبدأ الجهاز بثه مباشرة ، ورأت (مشيرة) واحدة من زميلاتها تقدم نشرة الأنباء ، قائلة :

ـ هكذا وقد انقطعت كل الاتصالات بالمعسكر الجديد لرواد الفضاء ، الذى تمت إقامته فى موضع سجن القمر القديم ، فى نفس الوقت الذى رصدت فيه أجهزة المراقبة انطلاق الصاروخ الأرضى ، عائدًا إلى القاعدة المصرية .. هذا وقد اتجه عدد من المسئولين ورجال وكالة الفضاء العربية إلى القاعدة ، فى انتظار هبوط الصاروخ ، لمعرفة تفاصيل ما حدث بالضبط ، على سطح القمر .

شهقت (مشيرة) ، هاتفة :

ـ القمـر ؟!.. يا إلهـى !.. (نشوى) و (رمـزى) و (محمود) .. لقد ذهبوا إلى هناك صباح اليوم .

ابتسم (شاين) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ يا للمشاعر الرقيقة .. هل تنشغلين بأمر زميليك ، وأنت على شفا حفرة من الجحيم .

ولكن المذيعة تابعت :

ـ ومن ناحية أخرى ، أكد أحد هواة الفلك ، أنه شاهد بمنظاره الخاص كرة خضراء متألقة ، تتكون على سطح القمر ، قبل أن تنقطع الاتصالات ، و ...

استدار (شاين) بحركة عنيفة إلى (الهولوفيزيون) ، عند هذه النقطة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتابع حديث المذيعة :

ـ ولكن بعض الاضطرابات الشمسية حجبت عنه الرؤية ، وأدت إلى تشوشها ، حتى أنه تصور رؤية عملاق أخضر البشرة ، قبيل انهيار قبة المعسكر ، إلا أن الخبراء يؤكدون أن تصريحات الهواة ليست ..

لم تسمع (مشيرة) باقى الحديث وهى تتطلع فى اهتمام بالغ إلى (شاين) ، الذى اربد وجهه ، وبدا شديد التوتر والعصبية ، وهو يغمغم فى خفوت :

ـ (روكور) ..

نطقها فى مقت وغضب شديدين ، وهو يحدق فى شاشة (الهولوفيزيون) ، فسألته (مشيرة) فى اهتمام بالغ ، وقد عاد فضولها الصحفى ليهزم خوفها وعصبيتها :

ـ هل أثارك الخبر إلى هذا الحد ؟
استدار إليها فى حدة ، ورمقها بنظرة نارية ، ولكنها تابعت بسرعة :
ـ من (روكور) هذا ؟..
بدا الغضب على وجهه لحظة ، ثم اعتدل قائلًا فى حزم :
ـ الأمور كلها تحتاج إلى تغيرات جذرية .
سألته فى لهفة :
ـ كيف ؟
ولكنه تجاهل سؤالها ، وقال وهو يلوّح مرة أخرى بعصاه :
ـ إلى اللقاء يا سيّدتى .
هتفت :
ـ ماذا ستفعل مع هذا الـ...
وقبل أن تتم عبارتها ، كان قد اختفى من أمامها تمامًا ..
وهنا أدركت (مشيرة) أنه كان يقصد بالفعل ما يقوله ..
وحدثتها غريزتها أنه ستحدث فى الساعات القادمة بالفعل تغيرات جذرية ..
ورهيبة .

★ ★ ★

٧ ـ رأسًا على عقب ..

سَرى انفعال عنيف فى جسد (محمود) ، وهو يضغط زر الإطلاق مرة ثانية ، وثالثة ، ورابعة ، ثم قال فى عصبية :
ـ هناك خلل فى نظم الدفع .
سألته (نشوى) فى يأس :
ـ أيعنى هذا أن خطتنا قد فشلت ؟
قال فى توتر :
ـ لا يمكننى قول هذا ، قبل فحص أجهزة الدفع نفسها .
حلّ (رمزى) حزام مقعده ، وهو يقول :
ـ دعنى أعاونك .
واستدارت (نشوى) إلى الكمبيوتر ، قائلة :
ـ سأراجع الدوائر مرة أخرى .
وانهمك الثلاثة فى العمل لربع الساعة ، قبل أن تهتف (نشوى) :
ـ عثرت على الخلل .

وتحت إرشاد الكمبيوتر ، توصَّل (محمود) و (رمزى) إلى موضع الخلل ، وراحا يتعاونان لإصلاحه ، حتى انتهيا منه بعد ربع ساعة أخرى ، وقال (محمود) :

ـ هيا بنا .. لقد أضعنا وقتًا ثمينًا .

أسرع كل منهم مرة ثانية إلى مقعده ، وضغط (محمود) زر الإطلاق ، هاتفًا :

ـ فلننطلق على بركة الله .

وفى هذه المرة ، انطلقت كبسولة التدريبات ..

اكتفت بارتجاجة خفيفة ، ثم ارتفعت بسرعة إلى الفضاء ..

وفى سرعة ومهارة ، حدَّدت (نشوى) المسار على الكمبيوتر ، ثم قالت فى ارتياح :

ـ نحن فى طريقنا مباشرة إلى الأرض .

كانت تشعر بشىء من السعادة ، حتى تمتم (رمزى) فى ضيق :

ـ بعد أن فقدنا نصف ساعة أخرى من مخزون الأكسجين .

أعادتهم عبارته إلى عالم الواقع فى عنف ، فارتسم الوجوم بغتة على وجوههم ، وتمتمت (نشوى) :

ـ هذا صحيح .. لم يعد لدينا سوى ما يكفى لثلاث ساعات طيران ، فى حين تحتاج الرحلة إلى أربع ساعات .

ران صمت ثقيل على الكبسولة ، بعد أن نطقت عبارتها ، وجلس الجميع يحدقون فى شاشة الرصد ، التى تنقل صورة كوكب الأرض ، وهو يقترب رويدًا رويدًا ، ثم قال (محمود) فى حزم :

ـ أمامنا ثلاث ساعات ، لنبحث عن وسيلة مناسبة ، لتفادى هذا النقص .

قالت (نشوى) فى يأس :

ـ كيف ؟!.. إننا لا نملك وسيلة لتوليد الأكسجين ، ولا أجهزة كافية لتنقية غاز ثانى أكسيد الكربون ، الذى تطلقه صدورنا(*) .. إنها مجرَّد كبسولة تدريب .

قال فى انفعال :

ـ هذا لا يعنى أن نفقد الأمل .

سأله (رمزى) :

ـ ألديك خطة محدودة ؟!

صمت (محمود) لحظة ، ثم قال :

ـ نعم .. لدى خطة محدودة .

(*) فى عملية التنفس ، نستنشق غاز الأكسجين مع الشهيق ، حيث يتم تغذية كرات الدم به ، فى شرايين الرئة ، وتتخلص كرات الدم من غاز ثانى أكسيد الكربون المتراكم فيها ، والذى تخرجه الرئة ، مع عملية الزفير .

سألته (نشوى) فى لهفة :

ـ ما هى بالضبط ؟

صمت لحظة أخرى ، ثم أجاب فى حسم :

ـ لم يحن موعد الكشف عنها بعد .

وعلى الرغم من أن إجابته هذه لم تشبع رفيقيه ، إلا أنه لم يكن كاذبًا ..

كانت لديه بالفعل خطة محدودة ..

محدودة للغاية ..

★ ★ ★

لم يدر مفتش الشرطة كيف وجد فى نفسه الجرأة ، ليهبط إلى النفق مرة ثانية ، بعد ذلك الصوت الذى سمعه ، ولكنه لم يستطع مقاومة فضوله ، فعاد إلى هناك ، وراح يتحسس الجدار فى نهايته بحذر بالغ ..

ومن خلف الجدار ، أتاه صوت أشبه بهدير المياه ، فغمغم :

ـ أى مكان هذا ؟.. إننا بعيدون جدًا عن نهر النيل ، وكل مصادر المياه المعروفة ، فمن أين يأتى صوت الماء هذا ؟

شعر بأيد تدق الجدار من الداخل ، فجفل وتراجع لحظة ، وهو يحدق فيه فى دهشة ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، متمتمًا فى حدة :

ـ ما الذى يحدث هناك بالضبط ؟

سمع فجأة صوت أحد رجاله يقول :

ـ ماذا تفعل عندك يا سيادة المفتش ؟

جفل مرة أخرى للصوت ، ثم هتف فى عصبية :

ـ هذا شأنى .

والتفت إلى الجندى ، مستطردًا :

ـ اذهب وأحضر بعض الرجال ، لننقب هذا الجدار .

سأله الرجل فى دهشة :

ـ ولكن لماذا ؟

أشار إلى الجدار ، قائلًا :

ـ هناك شىء ما يحدث خلفه ، وأريد معرفة ما هو بالضبط .

وكان من الطبيعى أن يجفل المفتش للمرة الثالثة ، عندما انبعث من خلفه صوت عميق يقول :

ـ اترك لى هذه المهمة .

واتسعت عينا الجندى فى ذهول ، وهو يهتف فى ذعر :

ـ ربّاه !.. لقد ظهر هذا الرجل فجأة .. إنه شبح .

أما المفتش ، فقد حدّق فى (شاين) بعينين جاحظتين ، فى حين تابع هذا الأخير فى هدوء شديد ، وبنفس الصوت العميق :

ضمَّها (نور) إليه ، وهو يبعد الفئران المذعورة عنها بقبضته الأخرى ..

- اسمحا لى بتقديم نفسى .. أنا الساحر (شاين) .

وانحنى نصف انحناءة ، كما لو كان على خشبة المسرح ، ثم أشار إلى المفتش ، مستطردًا :

- افسح الطريق .

ابتعد المفتش بحركة غريزية ، وهو يواصل تحديقه الذاهل فى الساحر ، الذى لوَّح بعصاه ، قائلًا فى هدوء :

- والآن الخطوة الأولى .

وفى هذه اللحظة ، كان الماء قد بلغ عنق (سلوى) ، وكتفى (أكرم) و (نور) ، وبكت هى فى مرارة ، قائلة :

- سنموت يا (نور) .. لم يعد هناك مفر .

ضمَّها (نور) إليه ، وهو يبعد الفئران المذعورة عنها بقبضته الأخرى ، وأعماقه تحمل شعورًا مؤلمًا بالعجز واليأس ، فى حين قال (أكرم) فى عصبية شديدة ، وهو يبعد فأرًا عنه فى اشمئزاز :

- أكثر ما يحنقنى هو أننا سنلقى مصرعنا جنبًا إلى جنب ، مع هذه الفئران الحقيرة .

غمغم (نور) :

- الحياة تتساوى عند الجميع يا رجل .

عقد (أكرم) حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

- هل تعنى أن حياتى تتساوى مع حياة فأر كهذا ؟

أجابه (نور) :

- كلا بالتأكيد ، فالفأر يمكنه أن يحتمل البقاء فى الماء ، لفترة أطول منك .

هتف (أكرم) :

- ماذا تعنى ؟

ولكن (سلوى) صاحت فجأة :

- هل لاحظتما هذا ؟!.. الماء ينحسر بسرعة .

انتبها فجأة إلى أن الماء ينحسر بالفعل ، ويتراجع إلى صدورهم ، ثم إلى بطونهم ، وراحت الفئران تسبح مبتعدة عنهم ، وكأنما انفتح مخرج للنجاة ، فى مكان بعيد ، ابتلع المياه الزائدة ، وأرشدتهم إليه غرائزهم ..

ولم تمض دقائق معدودة ، حتى كانت الفئران كلها قد اختفت ، وانخفض منسوب المياه إلى منتصف السيقان ، ثم إلى الأقدام ، فهتف (أكرم) :

- لقد نجونا .. نجونا يا رفاق .

وفى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان الساحر (شاين) فى الخارج يلوّح بعصاه مرة أخرى ، فى اتجاه الجدار ، قائلًا :

- ثم الخطوة الثانية والأخيرة .

وهنا اختفى الجدار ..

اختفى فجأة ، أمام أعين الجميع ..

المفتش ، والجندى ، و (نور) ، و (سلوى) ، و (أكرم) ..

وبغتة ، وجد الجميع أنفسهم يحدق بعضهم فى البعض ، فى حين انحنى (شاين) على نفس النحو ، الذى يلقى به التحية على مشاهديه فى المسرح ، وهو يقول :

- تقبلوا اعتذارى أيها السادة .. ماحدث لم يكن مقصودًا قط .

صاح (أكرم) ، وهو يندفع نحوه :

- أيها الوغد الحقير .. أين (مشيرة) ؟.. ماذا فعلت بها ؟

أجابه (شاين) فى هدوء ، وهو يدير عصاه حول نفسه :

- إنها بخير ، وستعود ..

وقبل أن يبلغه (أكرم) ، كان قد اختفى بغتة ، وصوته يتردّد فى المكان ، مكرّرًا :

- ستعود ... ستعود ... ستعود ..

وتلاشى صوته تدريجيًا ، حتى اختفى تمامًا ، فهزّ المفتش رأسه فى قوة ، وكأنه ينفض الذهول عن رأسه ، ثم التفت إلى (نور) ورفيقيه ، قائلًا :

ـ أعتقد أن لدينا الكثير لنتحدث عنه أيها السادة .. الكثير جدًا .

وانعقد حاجباه فى صرامة لا مثيل لها ..

★ ★ ★

بذلت (مشيرة) قصارى جهدها ، للخروج من ذلك القفص الزجاجى ، ولكن دون جدوى ..

لقد ضربت جدرانه بقبضتيها ، بكل ما تملك من قوة ، وفحصت كل ركن فيه ، بحثًا عن مخرج منطقى ، وتحسست زواياه ، حتى أصابها اليأس فى النهاية ، فانهارت فى أحد الأركان ، وأخفت وجهها بين كفيها ، وراحت تبكى فى صمت ..

لم تكن تدرى بالضبط ، أى مصير يخبئه لها ذلك الساحر ..

وكانت تشعر بالخوف ، فى كل خلية من خلاياها ..

وامتزج خوفها بشىء من الحنق ، وهى تتابع برامج أنباء الفيديو ، التى بدت لها ـ ولأول مرة ـ سخيفة مملة ..

والعجيب أن كل هذه المشاعر ، التى تعتمل فى نفسها ، لم تنجح فى إزاحة حسها الصحفى من أعماقها ، حتى أنها راحت تفكر فى وسائل تطوير (أنباء الفيديو) ، للتخلص من هذه الرتابة وذلك الملل ..

ثم فجأة ، قفز (أكرم) إلى ذهنها ..

وعادت تبكى فى مرارة ..

كانت تخشى ألا تراه أبدًا بعد هذا اليوم ..

إنها نهايتها ..

لم يعد لديها شك فى هذا ..

نهايتها المحتومة ..

وفجأة ، ومع انهمار دموعها المستمر ، سمعت (شاين) يقول :

ـ هل تأخرت عليك كثيرًا ؟

انتفضت وهى تهبّ من جلستها ، وتحدّق فيه لحظة ، ثم هتفت فى حنق :

ـ هل تأكدت من مصرعهم ؟

ابتسم ابتسامة بدت لها سخيفة ، وهو يقول :

ـ لم يمت أحد .. الجميع بخير .

انعقد حاجباها ، وهى تقول :

ـ أنت كاذب .

هزّ كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ـ ليس هناك ما يدعونى إلى الكذب .

كان صادقًا فى هذا ؛ فهى أسيرته ، وهو يسيطر على كل شىء ، فلماذا يعمد إلى الكذب ؟!..

إلا إذا ..

قفز الخاطر إلى ذهنها بغتة ، وتحوّل فى جزء من الثانية إلى لسانها ، وهى تقول :

ـ لقد وجدوا طريقة للفرار .. أليس كذلك ؟

ابتسم فى برود ، وهو يقول :

ـ لم يكن هناك سبيل واحد للفرار .

قالت فى حيرة :

ـ من أنقذهم إذن ؟

تطلّع إليها لحظة ، ثم قال :

ـ أنا ؟!

هتفت ذاهلة :

ـ أنت ؟!.. أنت أنقذت حياتهم ؟!.. ولكن لماذا ؟

أشاح بوجهه عنها ، وهو يقول :

ـ لقد تغيّرت الأمور .

زوت ما بين حاجبيها ، وهى تحاول فهم الأمر ، ثم لم تلبث أن تمتمت :

ـ أهو (روكور) هذا ؟

صمت تمامًا ، وملامحه لا تحمل أية تفاصيل أو انفعالات ، ثم تحسّس وجهه ، قائلًا :

ـ أنت وحدك تعلمين ما يخفيه هذا .. أليس كذلك ؟

هوى قلبها بين ضلوعها ، وهى تقول مرتجفة :

ـ ماذا تعنى ؟

لوّح بكفه ، وقال :

ـ أعنى أنه من بين سكان الأرض جميعًا ، لم ير ما خلف هذا الوجه سواك .

ارتعدت فرائصها ، وهى تقول :

ـ وهذا يعنى حتمية التخلّص منى .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة مخيفة ، وهو يقول :

ـ أهذا رأيك ؟

وعاد قلبها يهوى بين قدميها ، وابتسامته تتسع ، ويطل منها مصيرها المنتظر ..

ذلك المصير الرهيب ..

والبشع ..

* * *

جفّفت (سلوى) شعرها ، وهى تجلس إلى جوار زوجها (نور) ، فى حين بدا (أكرم) عصبيًا متوترًا ، وهو يقول :

ـ حسن أيها المفتش .. كل ما فهمناه هو أنك عاجز عن اصطياد المسئول الحقيقى ، وتشعر بالرهبة منه ، بعدما رأيت من أفعاله ، ولهذا فأنت تحاصر المجنى عليهم ، وتحاول تحويلهم إلى متهمين ، حتى لا تعود إلى رؤسائك خالى الوفاض .

مطّ المفتش شفتيه ، وقال فى ضيق :

ـ تفسير غير عادل أو منطقى يا سيِّد (أكرم) .. الجميع هنا يدركون أنكم هاجمتم الساحر فى حجرته ، ولم يهاجمكم هو ، ثم إنكم الذين عثرتم على الفجوة ، ورآكم المدير تقفزون داخلها ، ولم يكن الساحر هناك .

قال (نور) فى هدوء :

ـ وهذا يعنى أنك لاتستطيع توجيه اتهام رسمى لذلك الساحر .

لوّح المفتش بكفه ، قائلًا :

ـ ما رأيك أنت يا سيادة الرائد ؟!.. أنت رجل أمن مثلى ، وعلى أعلى مستوى .. وتدرك جيدًا تعقيدات الأمور ، فى مثل هذه الأحوال .. إننا لا نملك دليلًا واحدًا يدين الساحر ، فحتى قصتكم لا تشير إليه بشكل مباشر ، وإنما يوحى ما حدث لكم بأنه خلف الأحداث .. مجرّد إيحاء .

قالت (سلوى) :

ـ ولكننا رأيناه داخل الممر .

قال المفتش :

ـ ثم اختفى .. ومن السهل أن يطعن محاميه ، بأن هذا لم يكن سوى صورة هولوجرافية ، دسّها أحد خصوم الساحر هناك ، ليلقى الاتهام على رأسه .

قال (أكرم) فى غضب :

ـ ومن هؤلاء الخصوم المزعومون ؟

هزّ المفتش كتفيه ، وقال :

ـ عندما يجدّ الجد ، سيقدّم الدفاع عشرات الأسماء .. أصحاب المسارح الأخرى ، التى تأثّرت بالإقبال الشديد على هذا المسرح ، ورابطة السحرة ، و ...

قاطعه فى عصبية :

ـ وماذا عن اختطافه لـ (مشيرة) ؟.. ألا يمكننا توجيه الاتهام إليه ، فى هذا الشأن ؟

هزّ المفتش رأسه نفيًا ، وقال :

ـ للأسف .. ليس لديكم شاهد واحد ، على أن الصحفية ذهبت إلى حجرته ، وتلك الشبيهة التى تتحدثون عنها ، صارت مجرّد كومة من تراب الزجاج ، ولا يمكن بأى حال من الأحوال اعتبارها دليلًا ماديًا .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يهتف فى ثورة :

ـ وهكذا يفلت ذلك الوغد بجرائمه .

قلب المفتش كفيه ، قائلًا فى أسف :

ـ القانون هو القانون .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ هذا لا يعنى أننا سنتوقف عن البحث عنه .

أجابه المفتش :

ـ هذا شأنكم ، ولكنكم ستبذلون جهدًا مضاعفًا ، فالجميع مشغولون ، فى هذه الآونة ، بما أصاب معسكر رواد الفضاء القمرى ، وبذلك الصاروخ الذى ...

قاطعته صرخة ارتياع من (سلوى) ، قبل أن يهتف (نور) :

ـ وماذا أصاب المعسكر القمرى ؟..

قال المفتش بدهشة :

ـ ألم يخبركما أحد ؟!.. لقد ظهر عملاق أخضر هناك ، ودمّر المعسكر كله ، ونسف قبته الواقية ، وهناك صاروخ انطلق من هناك ، ويتجه إلى الأرض .. إنه سيصل بعد ربع الساعة على الأكثر .

صرخت (سلوى) مرة أخرى :

ـ ربّاه !.. (نشوى) .

أما (نور) ، فقد عقد حاجبيه فى شدة ، وقلبه يئن فى ألم ولوعة من أجل ابنته ورفيقيه ، دون أن يدرك أن كل هذا لم يكن سوى البداية ..

بداية العذاب .

* * *

٨ ـ القادم من بعيد ..

احتشد عدد هائل من الصحفيين فى قاعة الفضاء المصرية الجديدة ، مع جيش من رجال الأمن ، الذين أحاطوا بالمكان كله ، فى ترقّب وتحفّز ، فى انتظار هبوط الصاروخ الأرضى ، القادم من القمر ..

وفى حجرة المراقبة بالقاعدة ، راح الخبراء يحاولون ـ للمرة العاشرة ـ إجراء اتصال مباشر مع الصاروخ ، قائلين :

ـ من القاعدة الفضائية إلى (القاهرة ـ ١) .. حدد هويتك ، وسبب القيام بهذه الرحلة الاستثنائية ، خارج الجدول المحدود .

وللمرة العاشرة أيضًا ، لم يتلقّوا سوى همهمة غير مفهومة ، مع شوشرة شبه كاملة ، فاعتدل رئيسهم قائلًا :

ـ لا يوجد سوى احتمال واحد ، لو استبعدنا مؤقتًا قصة ذلك العملاق الأخضر الخرافى .. أن تكون أجهزة الاتصال فى الصاروخ قد أصيبت بعطب ما ، يمنع راكبيه من إجراء اتصال مباشر معنا ، أو الرد على رسائلنا .

أجابه أحد الخبراء :

- فى هذه الحالة كان يمكنهم استخدام أسلوب التخاطب الصونى ، الذى تم ابتكاره فى الأعوام الأخيرة .

لوّح الرئيس بيده ، وقال :

- سنفترض أنه أصيب بعطب مماثل .

قال خبير آخر :

- فى هذه الحالة لايصبح أمامنا سوى الانتظار ، فستتكشف الأمور حتمًا ، مع هبوط الصاروخ .

تنهّد الرئيس ، وقال :

- هذا هو الحل الوحيد .

وعاد مع رجاله يراقبون هبوط الصاروخ ، الذى أطلق دوافعه العكسية بالفعل ، وبدأ مرْحلة هبوطه الأخيرة ، فى منتصف القاعدة ، كما تهبط طائرة عملاقة ..

وحول القاعدة ، راحت آلات التصوير الهولوجرافية ، التى يحملها الصحفيون ، تلتقط آلاف الصور لمراحل الهبوط ، فى حين تحفّز رجال الأمن بمدافعهم الليزرية ، استعدادًا للتدخّل ، إذا ما دفعتهم ظروف الموقف لهذا ..

ثم استقرّ الصاروخ على قاعدته ، وراحت سحب الدخان التى أحاطت به تتقشع تدريجيًا فى بطء ، وقلوب الجميع تخفق فى لهفة وانتظار ..

وفى تلك اللحظة وصل (نور) و (سلوى) ، وهتفت الأخيرة :

- كم دعـوت الله أن تكـــون (نشوى) داخل هذا الصاروخ ، وقد هربت مع بعض الناجين ، قبل انهيار القبة الواقية .

لم يعلّق (نور) على عبارتها ، وإن شاركها هذه الدعوة فى أعماقه ، ووقف وسط جيش الصحفيين ، يراقب الصاروخ فى لهفة ..

ثم انفتح باب الصاروخ ..

وتعلّقت به كل الأنظار ..

وفى الثوانى القليلة ، التى تلت ذلك ، راح كل شخص من الحاضرين يرسم فى ذهنه صورة كاملة ، لما يتوقّع رؤيته ، و ...

وانهارت كل تلك الصور بغتة ..

انهارت مع ظهور ذلك العملاق الأخضر عند مدخل الصاروخ ، وهو يدير عينيه فى ذلك الحشد الهائل فى توتر بالغ ، وتحيط به هالته الصفراء المخيفة ..

وصرخت (سلوى) فى ارتياع :

- لا ..

كان ظهور عملاق كهذا ، يعنى بالنسبة إليها أن ابنتها قد لقيت مصرعها هناك ..

على سطح القمر ..

وانهارت كل تلك الصور بغتة ..
انهارت مع ظهور ذلك العملاق الأخضر عند مدخل الصاروخ ..

واعتصر الحزن والألم قلب (نور) ، وهو يضمّ زوجته إلى صدره ، وهى تبكى فى حرارة ، فى حين ساد الوجوم المنطقة كلها لحظة ، انطلقت بعدها مصابيح التصوير ، ليلتقط رجال الصحافة صور العملاق الأخضر الرهيب ..

أما رجال الأمن ، فقد هتف بهم قائدهم :

ـ استعدوا لإطلاق النار .

اتجهت فوهات مدافعهم الليزرية كلها نحو العملاق ، الذى ازداد توتره ، وهو يقيس ببصره قوة ذلك الجيش الهائل ، الذى يحيط به ..

وتجمّد الموقف كله بضع لحظات ، لم يدر أحد فيها ما القرار الواجب اتخاذه بالضبط ..

ثم أشار ذلك العملاق إلى صدره ، وقال :

ـ (روكور) .

وارتجف الجميع فى شدة ..

لقد نطقها بصوت أشبه بالرعد ، له نبرة غليظة خشنة ، وإيقاع ثقيل مخيف ..

ومع تلك الارتجافة ، فقد أحد الجنود سيطرته على نفسه ، ولم ينتظر أوامر قائده ، فاعتصرت سبّابته زناد مدفعه الليزرى دون أن يدرى ..

وانطلقت الأشعة القاتلة ..

وكان هذا إيذانًا بفتح أبواب الجحيم على مصاريعها ..

لقد مال العملاق جانبًا ، متفاديًا طلقة الليزر ، ثم أطلق صرخة هائلة ، ارتجّت لها جدران القاعدة ، قبل أن يعتدل بدوره ، ويطلق سلاحه ..

وكان التأثير رهيبًا ..

لقد انفجر مبنى من طابقين ، وتطايرت شظاياه فى كل مكان ، وصرخ قائد رجال الأمن فى توتر :

ـ أطلقوا النار .

ولكن العملاق الأخضر أطلق سلاحه مرة ثانية ، وثالثة ، ورابعة ، وهالته الصفراء تتلقّى ضربات الليزر القاتلة ، فتشتّتها وتبددها فى لحظات ، فى حين تنسف طلقاته غير المرئية الرجال والعتاد ..

ثم وثب العملاق من مكانه ، وهبط على قدميه وسط القاعدة ، وضغط زرًا ما فى حزامه ، فانطلقت منه عدة دوائر عجيبة الشكل ، تراصت وراء بعضها ، لتصنع ما يشبه النفق ، الذى يمتدّ إلى مسافة كيلومتر كامل ..

وصاح قائد رجال الأمن :

ـ أحيطوا به .. حاصروه .. لاتسمحوا له بهزيمتكم .

ولكن العملاق استدار إلى الصاروخ ، وأطلق سلاحه على قاعدته ..

وانفجر جزء كبير من قاعدة الصاروخ ، الذى مال على نحو مخيف ، فانطلقت صرخات الرعب والفزع فى المكان ، وراح الجميع يتدافعون فى ارتياع ، وجذب (نور) زوجته ، هاتفًا فى غضب :

ـ ربّاه !.. إنه سينسف القاعدة كلها .

أما العملاق ، فقد وثب داخل النفق ، الذى صنعته دوائره ، واختفى داخله ، تاركًا الصاروخ من خلفه يهوى فى بطء ، ثم يرتطم بالأرض فى عنف ، ساحقًا عشرات الأجساد أسفله ، ومطلقًا أبخرة كثيفة من قاعدته ..

وانطلق (نور) يعدو بكل قوته مع (سلوى) ، ثم قفز فى سيارته الصاروخية ، بعد أن عاونها على ركوبها ، وهو يهتف :

ـ سينفجر كل شىء بعد لحظات .. يا لها من مذبحة !

لم يكن هناك ما يمكن فعله ، لمنع الانفجار الرهيب ، لذا فقد انطلق (نور) بسيارته الصاروخية بأقصى سرعة ، ومن خلفه دوى الانفجار ، واشتعلت النيران فى القاعدة الفضائية ، وسقط عشرات الضحايا ..

وفى ألم ومرارة ، هتف (نور) :

ـ إنها مذبحة .. مذبحة كاملة .

صاحت (سلوى) ، والدماء تتفجّر من عينيها غزيرة :

ـ (نور) .. أهذا ما فعله بابنتنا يا (نور) .

لم يجب عن سؤالها ، وتلك الغصة تعتصر حلقه ، وتكاد تخنقه ..

كل شىء يوحى بأن هذا ما أصاب ابنتهما أيضًا ..

كل شىء ..

والأدهى أن ذلك العملاق الأخضر قد نجا ، وأصبح داخل الأرض بالفعل ..

ولا أحد يدرى لماذا جاء ؟!..

وما الذى يسعى إليه بالضبط ؟!..

كل ما يدركه الجميع ، بعد رؤية ما حدث فى القاعدة الفضائية ، هو أن الأرض كلها تتعرّض لخطر جديد ..

خطر داهم ..

★ ★ ★

« من كبسولة التدريب إلى القاعدة الفضائية .. نحن فى طريقنا إلى الأرض ، وليس لدينا ما يكفى من أكسجين ، ونحتاج إلى معاونة عاجلة .. أجب » .

كرّر (رمزى) النداء عدة مرات ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ لست أجد تفسيرًا لهذا .. جهاز البث يعمل فى كفاءة ، ولكن القاعدة لا تستجيب .

قال (محمود) فى توتر :

ـ اختبر أجهزة الاستقبال .

راجعت (نشوى) نتائج الكمبيوتر فى سرعة ، ثم قالت :

ـ كلها تعمل على ما يرام .

هتف (رمزى) :

ـ لماذا تتجاهلنا القاعدة إذن ؟

ساد الصمت لحظات بعد هتافه ، ثم قطعته (نشوى) ، قائلة :

ـ هناك فكرة تؤرقنى .

سألها فى ضيق :

ـ ما هى ؟

أجابته مضطربة :

ـ لقد سبقنا ذلك العملاق إلى الأرض ، وأخشى أن يكون قد هبط فى القاعدة الفضائية ، و ...

ولم تتم عبارتها ..

ولكنهما فهما ما تعنيه ..

وارتجف قلباهما ..

لو أن ذلك العملاق الأخضر هو المسئول عن عدم استجابة القاعدة ، فهذا يعنى أنه أقوى مما كانوا يتصورون بكثير ..

وأن الأرض ستواجه خطره بالفعل..

وهو يعنى أيضًا أمرًا آخر..

أن فرصة أخرى من فرص نجاتهم قد انتهت ..

وفى حنق ، هتف (رمزى) :

ـ ها هو ذا أمل آخر ينهار .

وسألت (نشوى) (محمود) :

ـ وماذا عن خطتك ؟.. ألم يحن الوقت لكشفها بعد ؟

خُيِّل إليها أنه لم يسمعها ، وهو غارق فى صمت تام ، ومستغرق فى تفكير عميق ، فكرَّرت :

ـ ماذا عن خطتك يا (محمود) ؟

انتفض عندما انتزعته من شروده ، والتفت إليها لحظة فى صمت حائر ، ثم غمغم :

ـ خطتى ؟!

أجابه (رمزى) :

ـ نعم .. خطتك .. أخبرنا بها ، فربما نجد فيها أملًا جديدًا .

تمتم فى شرود :

ـ إنها تحوى أملًا قويًا لكما بالتأكيد .

ثم نهض ، مردفًا فى حزم :

ـ انتظرانى لحظات .

تابعاه ببصرهما ، وهو يغادر مقصورة القيادة ، وقالت (نشوى) فى قلق :

ـ فيم يفكِّر بالضبط ؟

هزَّ (رمزى) رأسه ، وهو يقول :

ـ لست أدرى ، ولكنه يبدو مختلفًا .

واعتدل بغتة بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ ثم ما الذى كان يعنيه ، عندما قال « إنها تحوى أملًا قويًا لكما » ؟!.. لماذا لم يقل لنا جميعًا .

ارتفع حاجباها فى ارتياع ، وهى تقول :

ـ (رمزى) .. هل تظن أنه ؟

قفز (رمزى) من مقعده ، واندفع خارج المقصورة ، هاتفًا :

ـ (محمود) .. انتظر .

واتسعت عيناه فى هلع ، عندما رأى الممر الخارجى خاليًا ، وفى نهايته حجرة معادلة الضغط مغلقة ، ولحقت به (نشوى) ، قائلة فى صوت مرتجف :

ـ لقد دخل إلى حجرة معادلة الضغط ، وأغلقها خلفه من الداخل .

هتف (رمزى) :

ـ يا إلهى !.. إنه سيضحى بحياته من أجلنا .

ثم ضغط زر جهاز الاتصال ، الذى يوصله بالحجرة من الداخل ، وقال :

ـ (محمود) .. عد أيها المجنون .. لا تفعل هذا .

أجابه (محمود) من داخل الحجرة :

ـ لا يوجد حل آخر يا (رمزى) .. مازالت أمامنا ساعات ثلاث ، قبل أن نصل إلى الأرض ، والأكسجين الموجود لن يكفى ثلاثتنا لأكثر من ساعتين ، ولكنه يكفى اثنين منا لثلاث ساعات ، مع شىء يسير من الترشيد .

صاحت (نشوى) باكية :

ـ ومن قال إننا نقبل تضحيتك هذه ؟

أجابها فى حزن :

ـ إنها الأمل الوحيد لكما .

هتف (رمزى) :

ـ ولماذا أنت بالذات ؟

أجابه فى خفوت :

ـ لأنكما متحابان ، ولن يحتمل أحدكما فقد الآخر .

قالت (نشوى) ، والدموع تغرق وجهها :

ـ ومن أخبرك أننا سنحتمل فقدك ؟

وهتف (رمزى) :

ـ عد يا (محمود) ، وسنتشارك جميعًا المصير نفسه .

أجابه (محمود) :

ـ لم يعد هناك مجال لمناقشة هذا الأمر يا صديقى .. أرغب فى إنهاء الأمر فى سرعة ، حتى أننى لم أرتد حلة فضائية .. سأجذب الذراع دفعة واحدة ، قبل تعادل الضغط ، فينتهى كل شىء فى لحظة واحدة ، كما حدث مع ذلك الأمريكى على سطح القمر (*) .

انهارت (نشوى) ، وهى تقول :

ـ لا يا (محمود) .. أرجوك .. لن يكون لحياتنا طعم ، عندما نتذكر أن دماءك كانت ثمنًا لها .. صدقنى .. إننا نرفض النجاة بهذا الثمن .

قال (محمود) :

ـ يكفيكما أن تتذكرانى ، وربما ظلّ جسدى يدور فى الفضاء إلى الأبد .. سأصبح أوّل قمر بشرىّ فى التاريخ .. الوداع يا (نشوى) .. الوداع يا (رمزى) .

وأمسك الذراع التى تفتح الباب الخارجى للحجرة فى حزم ، وهو يكرّر :

ـ الوداع .

ولم تعد هناك وسيلة لمنعه ..

* * *

(*) راجع قصة (الامبراطور) .. المغامرة رقم (٨٦) .

حمل ذلك النفق العملاق الأخضر إلى مسافة بعيدة ، لم تمنعه من رؤية ذلك الدمار ، الذى تركه خلفه ، إلا أن ملامحه ظلت جامدة باردة ، وهو يراقب النيران ، قبل أن يعيد سلاحه إلى غمدة ، ثم يضغط أحد أزرار حزامه العديدة ، فتعود دوائر النفق إليه ، وتختفى داخله فى لحظات ..

وبعدها جلس العملاق الأخضر ..

جلس يسترجع كل ما شاهده ، عندما وصل إلى القمر ..

لم يكن يستعيده فى ذاكرته ، وإنما عبر شاشة صغيرة ، تنقل كل ما صوّرته تلك الأجهزة الدقيقة ، فى زيه الخاص ..

ثم راح يضغط بعض الأزرار فى سرعة ودقة واهتمام ..

وفى اللحظة التالية ، حدث ما يشبه المعجزة ..

لقد تلاشت الهالة الصفراء المتألقة ، التى كانت تحيط بجسده ، وحلت محلها هالة وردية رقيقة دقيقة ، راحت تنتشر فوق جسده كله ، ملاصقة له ، كما لو كانت بشرة إضافية ..

وعندما اكتملت الهالة الوردية كلها حوله ، ضغط العملاق زرًا آخر ..

واختفت ملامحه كلها ..

اختفت لتحل محلّها ملامح بشرية خالصة ..

بشرته صارت بلون بشرتنا ، وشعره اكتسب لونًا أسود لامعًا ، وحتى ثيابه ، أصبحت تشبه الثياب العادية ، التى نرتديها على الأرض ..

وأصبح من المستحيل أن تتعرّفه ..

لم يتبق من هيئته السابقة كلها سوى قامته الضخمة وملامحه الجافة ..

وفى خطوات سريعة ، اتجه العملاق إلى المدينة ، وراح يمتزج بسكان القاهرة ، دون أن ينتبه أحدهم إلى أنه يختلف عنهم ..

وباستثناء قامته الضخمة ، لم يكن هناك ما يمكن أن يجذب الانتباه إليه ، وهو يجوب الطرقات ، ويدور بعينيه فى كل مكان ، وكأنه يبحث عن شىء ما ..

أو شخص ما ..

وفى أحد الأركان ، توقف العملاق الأخضر ، وأخرج من جيبه صورة لأحد مواطنيه ، من أصحاب البشرة الخضراء ، والشعر الزيتونى الداكن ..

وكان صاحب الصورة نحيلًا ، حاد النظرات ، أصيب الجانب الأيسر لوجهه إصابة بالغة ، أدت إلى تشوّهه على نحو ملحوظ ، منحه مظهرًا مخيفًا ..

ومرة أخرى ، رفع العملاق عينيه ، يُراقب ويتابع كل ما حوله ، حتى توقّف بصره عند صحيفة مطبوعة ، من تلك الصحف النادرة ، فى القرن الحادى والعشرين ..

وعلى الصفحة الأولى ، كان هناك رسم أنيق ، يصاحب موضوعًا حول الساحر (شاين) وقدراته العجيبة ..

وفى اهتمام بالغ ، تطلّع العملاق إلى الرسم ، ثم ضغط مربعًا صغيرًا ، فى ركن الصورة التى يحملها ، فتغيّرت هيئة صاحبها فى سرعة ، متخذة عشرات الهيئات البشرية ، حتى توقّفت عند صورة محدودة ..

صورة طبق الأصل من الساحر (شاين) .

وهنا اعتدل العملاق فى ارتياح ظافر ..

لقد عثر أخيرًا على ذلك الشخص ، الذى جاء من عالمه من أجله ..

عثر على (شاين) ..

الساحر .

* * *

٩ - أرض المعركة ..

ضغط مدير المسرح أزرار هاتف الفيديو فى لهفة ، وهو يقول :

- أين هذا الساحر المغرور .. لماذا لا يجيب ؟.. أريد أن أبلغه بأمر استمرار العرض .

سأله حارسه الخاص فى دهشة :

- وهل سيستمر عرض الساحر (شاين) ، بعد كل ما حدث ؟

صاح به المدير فى غضب :

- وما الذى حدث ؟!.. ألم تسمع بنفسك ما قاله مفتش الشرطة ؟!.. لا يوجد دليل واحد يمكن أن يدين ساحرنا .. إنه برىء .. برىء تمامًا ، ويمكنه تقديم عرضه ، دون أن يجرؤ مخلوق واحد على توجيه أصابع الاتهام إليه ، أو ...

انتفض جسده كله فى عنف ، عندما قاطعه صوت صارم ، يقول :

- إذن فأنت تعلم أين يمكن أن نجد ذلك الوغد .

استدار المدير فى ذعر إلى (أكرم) ، فى حين هبّ حارسه من مقعده فى حدة ، وقال فى صرامة ، وهو يمدّ يده لينتزع مسدسه الليزرى :

- كيف دخلت إلى هنا ؟..

ولكن (أكرم) وثب بغتة ، وركل المسدس من يد الحارس ، وهو يقول :

- معذرة أيها الحقير ، ولكننى أكره كل مسدسات الليزر .

ثم هوى على فك الحارس بلكمة قوية ، مستطردًا :

- فأنا من الطراز القديم .

سقط الحارس أرضًا ، ولكنه هبّ واقفًا على قدميه فى سرعة ، فى حين صرخ المدير :

- اقتله .. اقتله يا (جميل) .

انقضّ الحارس على (أكرم) ، وأحاط وسطه بذراعيه ، وراح يعتصره فى قوة بعضلاته المفتولة ، وهتف (أكرم) :

- إنك قوى بالفعل يا رجل .

ثم هوى بحافتى راحتيه على جانبى وسط الحارس ، مستطردًا :

- ولكنك أغبى مقاتل رأيته فى حياتى .

تراجع الحارس فى ألم ، فلكمه (أكرم) بيمناه ، متابعًا :

- لقد أمسكت وسطى ، وتركت ذراعىّ حرّين ، لذا ..

وأضاف لكمة أخرى بيسراه ، قائلًا :

- فأنت تستحق ما أصابك .

سقط الحارس للمرة الثانية ، ولكنه عاد ينهض ، ويستلّ من حزامه مدية حادة ، وهو يزمجر قائلًا :

- فليكن .. ما دمت من الطراز القديم ، فلنتقاتل إذن بالوسائل القديمة .

وهتف مدير المسرح فى انفعال :

- لا يمكنك أبدًا هزيمة (جميل) .

ومع عبارته ، وثب الحارس نحو (أكرم) ، وحاول أن يطعنه بمديته ، صائحًا :

- خذ هذا السلاح القديم .

ولكن (أكرم) تفادى المدية فى براعة ، وهو يقول :

إنه ليس قديمًا بما يكفى .

ثم لكمه فى عنف ، مستطردًا :

- هذا السلاح أكثر قدمًا منه .

وغاصت قبضته فى معدة الحارس ، مع إضافته :

- وأكثر فاعلية .

ثم أضاف لكمتين أخريين ، واحدة فى أنف الحارس ، والثانية فى أسنانه الأمامية مباشرة ..

وسقط (جميل) أرضًا ، والدماء تنزف من أنفه وفمه ، فتراجع المدير ، هاتفًا :

ـ لاتلمسنى ، وإلا أبلغت الشرطة .

جذبه إليه (أكرم) من قميصه فى عنف ، وهو يقول فى خشونة :

ـ أين أجد ساحركم الوغد ؟

ارتجف الرجل ، وهو يقول :

ـ ليس من حقك أن ...

أخرسه (أكرم) بلكمة عنيفة فى معدته ، تأوه لها الرجل فى ألم ، وهتف :

ـ لاتضربنى .

قال (أكرم) فى صرامة :

ـ أين أجده ؟

هتف المدير :

ـ إنك ترتكب مخالفة قانونية .

هزّ (أكرم) كتفيه ، وقال فى سخرية عصبية :

ـ ألديك شهود على هذا ؟!.. هل نسيت القاعدة القانونية يا رجل ؟.. لا يمكنك اتهام رجل دون شهود وأدلة .. أليس كذلك ؟

ثم لكمه مرة أخرى فى معدته ، مضيفًا :

ـ وهذه اللكمات لاتترك أثرًا واضحًا .

كاد المدير يبكى من الألم ، وهو يلهث قائلًا :

ـ هذا يؤلم فى شدة .

أجابه (أكرم) فى قسوة :

ـ يمكنك أن تتفاداه بذكر ما أريده .

أمسك الرجل معدته ، وهو يقول :

ـ ولكننى أجهل أين يقيم (شاين) .

قالها وشهق فى قوة ، عندما هوى (أكرم) على معدته بلكمة عنيفة ، ودارت عيناه فى محجريهما ، وهو يهتف :

ـ أقسم لك إنها الحقيقة .

سأله (أكرم) فى غضب :

ـ أية حقيقة ؟!.. لقد شاهدتك بنفسى تجرى اتصالًا به ، منذ قليل .

صاح الرجل فى ألم :

ـ هذا كل ما أملكه .. رقم هاتفى فحسب .. إنه حتى لايستخدم أحد هواتف الڤيديو الحديثة ، فصورته لاتظهر على شاشتى قط .

ضمّ (أكرم) قبضته مرة أخرى ، فصرخ الرجل ، وهو يلوّح بكفيه مذعورًا :

- إنها الحقيقة .. أقسم بكل عزيز لدى إنها كذلك .

وعلى الرغم من نبرة الصدق الواضحة فى صوته ، شعر (أكرم) بغضب هائل فى أعماقه ، وهو يستمع إليه ..

إذن فهو يجهل بالفعل أين يقيم (شاين) ..

وهذا يعنى أنه قد فقد فرصة أخرى ، فى استعادة (مشيرة) ..

وهو لا يحتمل هذا ..

وفى غمرة غضبه ويأسه ، أمسك الرجل فى قسوة ، صائحًا فى وجهه :

- هناك وسيلة أخرى حتمًا للاتصال به ..

صرخ الرجل :

- أقسم لك ...

وقبل أن يتمّ عبارته ، انفجر الجدار بغتة ، وأطاح بهما معًا لمترين كاملين ..

ونهض المدير مذعورًا ، وهو يحاول منع الدماء ، التى تنزف من جرح بجبهته ، وصاح فى ارتياع :

- ما هذا ؟.. ماذا حدث ؟

أزاح (أكرم) بعض الأحجار ، التى سقطت فوقه ، ونهض قائلًا :

- هل اشتعلت الحرب مرة أخرى ؟.. أم ..

وقبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع حاجباه فى دهشة بالغة ، وهو يحدّق فى ذلك العملاق الضخم ، الذى عبر تلك الفجوة الكبيرة ، التى خلفها الانفجار ، حاملًا سلاحًا أشبه بالمسدس ، ينتهى بكرة منتفخة ، وجريدة يومية معروفة .

وفى صرامة مخيفة ، جذب ذلك العملاق (أكرم) إليه ، وأشار إلى ذلك الرسم الذى يحتلّ مكانه ، فى صفحة الجريدة الأولى ، فحدّق فيه (أكرم) ، وغمغم :

- إذن فأنت أيضًا تبحث عن (شاين) .

ظهرت نظرة أكثر صرامة فى عينى العملاق ، وهو يهمهم بكلمات غير مفهومة ، فى حين امتقع وجه المدير ، وهو يردّد فى ارتياع :

- ما هذا ؟.. ما هذا بالضبط ؟

أجاب (أكرم) :

- يبدو أننا أصبحنا عديدين ، فى قائمة البحث عن ذلك الساحر .

ثم التفت إلى العملاق ، وقال :

- بالنسبة لى ، لست أعرف شيئًا عنه .. أى شىء .

التقى حاجبا العملاق فى غضب رهيب ، فهتف (أكرم) :

- هذه الحقيقة .

ولكن العملاق دفعه فى قسوة ، فارتطم بالجدار المقابل ، وسقط أرضًا ، وخُيِّل إليه أن ما يحدث له هو عقاب سماوى ، لما فعله بمدير المسرح ، فرفع رأسه ، قائلًا لذلك العملاق :

ـ رويدك يا هذا .. استمع إلىّ أوّلا ، و...

ولكن بصره ارتطم بفوهة سلاح العملاق ، ورأى سبابته تستعد لضغط الزناد ، و...

ولم يعد هناك مفرّ من الموت ..

★ ★ ★

« لقد اختفى هنا » .

نطق (نور) العبارة ، وهو يشير إلى خريطة كبيرة لمدينة (القاهرة الجديدة) ، فى حجرة مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، الذى قال فى اهتمام :

ـ ولقد مشّط رجالنا المنطقة كلها ، وحامت فوقها خمس حوّامات نووية ، وتم تصوير كل شبر فيها ، ولكننا لم نعثر له على أدنى أثر .

قال (نور) :

ـ ولكن هناك آثار أقدام ، تتجه إلى تلك البقعة .

أجابه القائد الأعلى :

ولكن بصره ارتطم بفوهة سلاح العملاق ، ورأى سبابته تستعد لضغط الزناد ..

ـ هذا صحيح ، ولكنه أغرب جزء فى الأمر كله يا (نور) ، فمسار هذه الآثار يعنى أن ذلك العملاق الأخضر قد انتقل إلى واحدة من أشد مناطق (القاهرة الجديدة) ازدحامًا ، وعلى الرغم من هذا فلم يرد بلاغ واحد برؤيته .

عقد (نور) حاجبيه ، وقال :

ـ هناك تفسير لهذا بالتأكيد .

ران الصمت فى الحجرة ، وكلاهما يبحث عن تفسير منطقى ، ثم قال القائد الأعلى :

ـ كيف حال زوجتك الآن يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى أسى :

ـ لقد أصابها انهيار عصبى ، عندما علمت بما أصاب ابنتنا ، وحقنها الأطباء بعقار مهدئ ، وهى غارقة فى نوم عميق الآن .

ربّت القائد الأعلى على كتفه ، قائلًا :

ـ ولكن الأنباء لم ترد بشكل مؤكد بعد ، وربما كان هناك ناجون على القمر .

غمغم (نور) فى مرارة :

ـ ربما يا سيدى .

ثم استطرد محاولًا إزاحة الأمر عن ذهنه :

ـ ولكن السؤال الآن يا سيدى هو أين ذهب ذلك العملاق ؟.. وكيف اختفى وسط مدينة شديدة الازدحام ، مثل (القاهرة الجديدة) ؟

أشار إليه القائد ، قائلًا :

ـ إنها مهمتك أن تبحث عن الجواب .

عقد (نور) حاجبيه مرة أخرى ، وهو يفكر فى عمق ، ثم قال :

ـ لا يوجد سوى تفسير منطقى واحد .

سأله القائد فى اهتمام :

ـ ما هو ؟

أجابه فى حزم :

ـ لقد أبدل هيئته ، وأصبح يشبه سكان الأرض .

لوّح القائد بسبابته ، قائلًا :

ـ بالضبط .. هذا هو التفسير الوحيد .

ثم استدرك فى ضيق :

ـ ولكنه يزيد الأمر صعوبة :

قال (نور) :

ـ بالتأكيد .. والأكثر صعوبة هو أننا نجهل الوسيلة ، التى يبدل بها هيئته بالضبط .. هل يتنكر بوسائل عادية ، أم تكنولوجية ؟!

قال القائد الأعلى :

ـ لست أعتقد أنه يستخدم الأساليب المعتادة ، فكل ما فعله يؤكّد أنه يمتلك تكنولوجيا متطوّرة ، تفوق ما توصلنا إليه فى وقتنا الحالى .

أجابه (نور) فى اهتمام :

ـ فى هذه الحالة نكون أيضًا أمام احتمالين .. هل يتغير شكله كله ، أم ملامحه فحسب ؟.. ففى الحالة الأولى لن يمكننا العثور عليه قط ؛ إذ قد يتخذ هيئة طفل أو شاب ، أو حتى امرأة ، أما فى الحالة الثانية ، فسيكون العثور عليه سهلًا إلى حد ما ، فقامته وضخامته واضحتين مميزتين ، ويمكن اقتناصه ، من بين مئات البشر .

صمت القائد الأعلى لحظات مفكّرًا ، ثم قال :

ـ وليس أمامنا سوى التحرّك فى الاتجاه الثانى .. سأصدر أمرًا بمراقبة واعتقال كل ضخام الجثة ، ممن تتشابه هيئتهم مع هيئة ذلك العملاق .

قال (نور) :

ـ فكرة ممتازة يا سيّدى ، على الرغم من أنها ستلقى معارضة شرسة ، من أعضاء لجان الحريات .

ابتسم القائد الأعلى ، وقال :

ـ هؤلاء الأعضاء أنفسهم سيذبحوننا فى الميادين العامة ، لو تركنا هذا العملاق مطلق السراح .

ثم اعتدل مستطردًا :

ـ أما بالنسبة إليك يا (نور) ، فعد إلى منزلك ، وحاول أن تحصل على قسط من الراحة ، إذ أننا سنرسل فى استدعائك ، إذا ما جدّ جديد فى هذه المهمة ، ولا داعى لأن تنهار تعبًا وإرهاقًا ، قبل أن تنتهى منها .

غادر (نور) مبنى قيادة المخابرات العلمية شاردًا ، واستقلّ سيارته الصاروخية وذهنه كله يتركّز على فكرة واحدة ..

على ابنته (نشوى) ..

لم يكن قد فقد الأمل بعد ، فى كونها على قيد الحياة .. ولكنه لا يمتلك دليلًا واحدًا على العكس ..

صحيح أن رجال المراقبة الفلكية أكدوا حدوث مذبحة بشعة على القمر ، وانهيار القبة الواقية تمامًا ، مما يستتبع انهيارًا كاملًا فى الضغط والهواء والحرارة ، إلى حد يستحيل أن يحتمله كائن بشرى واحد ، مهما بلغت قوته ..

ولكنه لم يفقد الأمل بعد ..

لقد راجع بنفسه كل صورة ، التقطتها المجاهر العملاقة لسطح القمر ، وتأكد من أن جثة ابنته ليست بين جثث الضحايا الممزقة هناك .

ولا جثتى (محمود) و (رمزى) ..

وهذا وحده كاف ليمنحه الأمل ..

الكثير من الأمل ..

وحتى لو كان هذا الأمل زائفا ، فهو سيتشبث به ، ويحيا من أجله ، حتى آخر لحظة فى حياته ..

واستغرقته الأفكار ، حتى وجد نفسه فجأة أمام منزله ، فأوقف سيارته ، وغادرها فى تثاقل ، وهو يغمغم :

ـ كم تبدو العودة إلى المنزل مؤلمة ، عندما تغيب عنه (نشوى) .

حاول أن يتماسك ، حتى لا تخدعه دموعه ، وتنهمر على وجنتيه ، وقطع حديقة المنزل فى خطوات واسعة ، ودخل إلى الردهة ، وأغلق الباب خلفه فى إحكام ، و...

وفجأة ، انتبه إلى تلك المرأة ، الواقفة أمامه ، فهتف فى دهشة :

ـ (مشيرة) ؟!

ابتسمت فى سعادة ، وهى تقول :

ـ نعم يا (نور) .. إنه أنا .

اندفع يصافحها فى حرارة ، وهو يقول :

ـ كيف وصلت إلى هنا ؟.. وكيف أطلق (شاين) سراحك ؟

أجابته فى انفعال :

ـ تماما مثلما أطلق سراحكم ، وقبل أن تغمركم المياه فى النفق .

هتف (نور) :

ـ إذن فقد رأيت كل ما حدث .. أخبرينى إذن .. أين يمكننى العثور على هذا الساحر ؟

أتى من خلفه صوت هادئ عميق ، يقول :

ـ هنا أيها الرائد (نور) .

التفت (نور) بسرعة إلى مصدر الصوت ، ووجد أمامه آخر شخص يتوقع رؤيته فى منزله ..

الساحر (شاين) ..

وفى صرامة ، قال (نور) :

ـ لماذا جئت إلى هنا ؟

ابتسم (شاين) ، وهو يقول :

ـ جئت من أجلك أيها الرائد ..
ثم رفع عصاه ، ولوّح بها فى اتجاه (نور) ، و ..
وارتجفت (مشيرة) لما حدث .

★ ★ ★

[انتهى الجزء الأوّل بحمد الله]

ويليه الجزء الثانى

(القوة الســوداء)

رقم الإيداع ٣٢١٥

المطبعة العربية الحديثة

٥ ، ١٠ شارع ٢٢ بالمنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة ☎ [illegible]

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

المؤلف

د. نبيل فاروق

الساحر

- ما سر ذلك الساحر ، الذى اختطف الصحفية (مشيرة محفوظ) ؟
- من ذلك العملاق الأخضر ، الذى ظهر على القمر ، ودمر معسكر روّاد الفضاء ؟
- ترى .. هل ينجح (نور) وفريقه فى مواجهة هذه القوة الجديدة ، أم يكون الفوز من نصيب (الساحر) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع (نور) وفريقه ، فى حل اللغز .

٩٤

الثمن فى مصر ١٠٠ مـ وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : القوة السوداء